

سر عقد اللؤلؤ

مكتبة معروف

أرسين لوبين

سر عقد اللؤلؤ

محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف

الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة: ٣٦١١١٢٢٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية

١ سر عقد اللؤلؤ

دق جرس البهو بالقصر الكبير الذى تقطنه البارونة أسرمان ، بحى سان جرمان ، وسرعان ما أقبلت الخادمة وفى يدها رسالة وقالت :

– بالباب رجل يقول إن سيدتى استدعته للحضور فى الساعة الرابعة .

فضت البارونة المظروف وأخرجت منه بطاقة عليها هذه الكلمات :

"مكتب بارنيت وشركاه للاستعلامات المجانية"

– أدخلى هذا السيد الى مخدعى .

كانت فاليرى الجميلة ، كما كانوا يدعونها منذ ثلاثين سنة ، امرأة ضخمة ناضجة ، ترتدى ثياباً أنيقة وغالية رتصبغ وجهها بعناية فائقة مما جعلها تحتفظ بنضارة كبيرة .. تنم ملامحها عن كبرياء ، وأحيانا عن قسوة وفى أغلب الأحيان عن سذاجة لا تفتقر الى الفتنة . وهى زوجة المالى الكبير أسرمان ، وكانت تزهو بما ترفل فيه من ترف ، وبعلاقاتها وبقصرها ، وبكل ما يحيط بها ، وكثيرا ما كان الناس يلومونها بسبب بعض مغامراتها الفاضحة، بل ان زوجها كان على وشك ان يطلقها فى وقت من الأوقات .

مرت أولاً بغرفة البارون أسرمان ، وهو رجل متقدم فى العمر، معتل الصحة و اضطرته الأزمات القلبية الى ملازمة الفراش منذ أسابيع ..

وسألته عن أخباره ، ورتبت الوسائد خلف ظهره وتمتم مستفهما :

- ألم يدق الجرس ؟ قالت :

نعم . . انه ذلك المخبر السرى الذى نصحونى أن ألجأ اليه كى يجلو لنا غموض قضيتنا ، ويبدو أنه رجل مشهور .. قال المالى :

هذا حسن .. ان هذه المسألة تثير قلقى ، ولا أفهم فيها شيئا .

خرجت فاليرى من الغرفة وقد ازداد قلقها هى الأخرى ، ومضت الى مخدعها ، ووجدت فيه رجلا غريب المظهر ، طويل القامة ، عريض الكتفين ، متين البناء ، يرتدى سترة طويلة سوداء ، أو بالأحرى تميل الى الإخضرار ، طلق الوجه ، حلو الملامح ، لا يزال شاباً ولكنه خشن البشرة . عيناه باردتان ساخرتان ، خلف مونوكل يضعه تارة فوق عينه اليمنى وتارة أخرى فوق عينه اليسرى ، تتألق عيناه بمرح صبيانى .. سألته :

مسيو بارنيت ؟

انحنى نحوها . وقبل أن يسعفها الوقت لكى تسحب يدها طبع عليها قبلة فى احترام .. ثم قال :

- جيم بارنيت ، فى خدمتك ياسيدتى . ما أن تلقيت خطابك حتى أسرعت بالمجئ .

بدا عليها الذهول والتردد فى طرد الدخيل .. ولكنه واجهها بذلك المرح الذى يتميز به رجال المجتمع ذوى الخبرة بأصول المجاملة بحيث لم يسعها إلا أن تقول :

- قيل لى انك بارع فى حل القضايا المعقدة .

ابتسم فى صلف وقال :

– انما هى موهبة لدى .. فاننى أستطيع أن أرى فى وضوح ، وأن أفهم

كان صوته حلواً ، حاسم اللهجة ، ومسلكه ينم عن تهكم خفى وسخرية مغلفة .. كان يبدو شديد الثقة بنفسه وبمواهبه بحيث يوحى لمن يستمع إليه بمقدرته غير المحدودة ، وأحست فاليرى لأول وهله أنها تخضع لنفوذ ذلك الرجل الغريب ، الفظ المظهر ، والذى يقول عن نفسه إنه رئيس وكالة خاصة للاستعلامات والتحريات ، ورأت أن تعامله بالمثل فقالت :

– لعل من الأوفق ان نتكلم أولا عن الشروط .. أسرع يقول :

– هذا أمر لا داعى له على الاطلاق .

ابتسمت بدورها وقالت :

– ومع ذلك فأنت لا تعمل لاكتساب المجد ؟

– ان مكتب بارنيت يعمل مجاناً ياسيدتى .

بدا عليها الاستياء وقالت :

– كنت أود أن نتفق بيننا على شئ من التعويض أو المكافأة على الأقل .

قال وهو يضحك فى استهزاء :

تعنين بقشيشاً ! .. أصرت قائلة :

ومع ذلك فلا أستطيع أن ..

– أن تظلى مدينة لى ؟ ..ان المرأة الجميلة لا تدين بأى شئ لأى رجل وأردف على الفور ، ربما للتخفيف من جرأة تهكمه :

– ولكن لا تخشى شيئاً ياسيدتى البارونة .. مهما يكن من أمر الخدمات التى سأؤديها لك فسوف أتدبر أمرى بحيث لا يخرج أى منا مديناً للآخر .

ما معنى هذه الكلمات الغامضة ؟ هل فى نية هذا الرجل أن يسدد حسابه لنفسه ؟ وماذا ستكون طبيعة هذا السداد ؟

أحست برجفة من الضيق ، واصطبغ لونها .. الحق ان مسيو بارنيت هذا يوحى إليها بقلق غامض غير بعيد عن ذلك الاحساس الذى يحس به المرء أمام سارق يسطو على المنازل ، كما مر ببالها خاطر عجيب .. يا الهى ! .. نعم ، خطر لها أنها ربما تواجه عاشقاً اختار هذه الطريقة الغريبة لاقتحام بيتها .. ولكن كيف تعرف ؟ وفى كل الحالات ، كيف تتصرف ؟ تنازعها الخجل والاستسلام والأمان فى نفس الوقت ، وأحست بأنها على استعداد للتسليم له بكل شئ .. ولهذا فما أن سألها المخبر عن الأسباب التى دفعتها الى طلب مساعدة مكتب بارنيت حتى تكلمت دون لف أو دوران ، وبدون أية مقدمات ، كما طالبها بأن تفعل .. ولم يكن الحديث طويلاً ، فقد بدا مسيو بارنيت على عجل من أمره .. قالت :

كان ذلك يوم الأحد الأسبق ، كنت قد دعوت بعض الأصدقاء للعب البريدج ، وأويت فى تلك الليلة الى غرفتى مبكرة ، ونمت كعادتى .. ولكن الصوت الذى أزعجنى فى نحو الساعة الرابعة .. فى الرابعة والدقيقة العاشرة بالتحديد ، تبعه صرير ، بدا لى كأن باباً يقفل .. وكان ذلك صادراً من مخدعى .. قاطعها بارنيت قائلاً :

أى فى هذه الغرفة ؟

وانحنى بارنيت فى احترام ، وهو يقول :

ناحية تلك الغرفة ؟

– أجل .. وهى متصلة بغرفة نومى من ناحية ، ومن ناحية بالطرقة التى تؤدى الى سلم الخدم .. وانا لا أخاف ، ونهضت بعد لحظة .

فقال :

– نهضت إذن ؟

– نعم . ودخلت ، وأضأت النور . لم يكن هناك أحد ، ولكن هذه الفترينة كانت قد وقعت بكل محتوياتها من أشياء وتحف وتماثيل ، وتحطم بعضها . ومضيت الى زوجي ، وكان يقرأ في فراشه ، ولم يسمع شيئاً .. وأحس بقلق شديد فقرع الجرس يستدعي رئيس الخدم الذي بدأ أبحاثه على الفور ، وهي أبحاث تابعها منذ الصباح قوميسير البوليس .. سألها بارنيت

– والنتيجة ؟

– لم يكن هناك أي أثر يدل على دخول أو خروج الشخص .. كيف دخل ، وكيف خرج ؟ .. هذا أمر غامض ، ولكنهم عثروا ، تحت وسادة ، بين بقايا التحف على نصف شمعة وملقاط صغير ذي مقبض من الخشب ، قذر جداً . ولما كان قد أقبل سباك بعد ظهر ذلك اليوم لإصلاح حنفيات الحوض في دورة المياه الملحقة بغرفة زوجي ، فقد استجوبوا صاحب المحل ، واعترف بأن المثقاب يخصه ، وعثروا لديه على النصف الآخر من الشمعة و ..

قاطعها بارنيت قائلا :

– الأمر مؤكد إذن من هذه الناحية .

– نعم .. ولكن يناقضه أمر آخر مؤكد أيضا ومحير حقاً فقد أثبت التحقيق ان العامل استقل القطار السريع المنطلق الى بروكسل في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه ، وأنه وصل هناك في منتصف الليل ، أي قبل الحادث بثلاث ساعات .

– عجباً .. وهل عاد ذلك العامل ؟

– كلا .. وانما عثروا على آثاره فى مدينة انفرس حيث راح ينفق المال بدون حساب .

– وهل هذا كل شئ ؟

– نعم . تماماً .

– ومن الذى قام بالتحقيق ؟

– المفتش بيشو .

ظهرت امارات الفرحة الشديدة على ملامح بارنيت وقال :

– بيشو ؟ .. آه ، هذا الرجل العظيم ! .. انه من أعز أصدقائى ياسيدتى البارونة ، وقد اشتركنا فى العمل معا كثيراً .

– الواقع أنه هو الذى حدثنى عن مكتب بارنيت .

– لأنه لم يصل الى أية نتيجة طبعا ؟

– هو ذلك .

– هذا العزيز بيشو ! .. سيسرنى أن أؤدى له خدمة .. ولك أنت أيضاً ياسيدتى البارونة .. صدقينى .. لك أنت على الخصوص .

ومضى الى النافذة ، واعتمد عليها بجبينه ، وبقى بضع لحظات يفكر وهو ينقر بأحد أصابعه على لوح الزجاج ويترنم بلحن راقص . وتحول أخيراً الى مدام أسرمان وقال :

– وخطر لبيشو طبعاً ، ولك أنت أيضا ياسيدتى أنه كانت هناك محاولة للسرقة .

– نعم .. محاولة لم تثمر لأننا لم نكتشف ضياع شئ .

– لنفرض ذلك . ولكن مهما يكن فقد كان لهذه المحاولة هدف معين ولابد أنك تعرفينه ، فما هو ؟

أجابت فاليرى بعد تردد يسير :

– لا أعرف !

ابتسم المخبر السرى ثم مد إصبعاً ساخراً الى قطعة من القماش تحيط بالمخدع ، فوق العامود ، وسألها كما لو أنه يسأل طفلاً أخفى شيئا :

– ماذا يوجد تحت هذه القطعة ؟

أجابت مذهولة :

– لاشئ .. ما معنى هذا ؟

قال مسيو بارنيت فى لهجة جدية :

– معناه أن أشد المفتشين سذاجة يلحظ أن حواف هذه القطعة المربعة من القماش مستهلكة شيئا ما ، وأنها تبدو فى بعض المواقع متفرقة عن العامود بفتحة ، وأن هناك ما يحمل على الظن بأن هناك خزانة مخبوءة فى هذا المكان يا سيدتى البارونة .

سرت رعشة فى بدن فاليرى ، اذ كيف استطاع مسيو بارنيت أن يخمن مع هذه الأدلة الغامضة ، وفجأة رفعت قطعة القماش وكشفت بذلك عن باب صغير من الصلب ، وعالجت فى انفعال الأزرار الثلاثة لقفل الخزانة وهى تشعر بقلق شديد .. ورغم ان النظرية كانت غير معقولة ، فقد تساءلت ان لم يكن ذلك الرجل الغريب قد سرقها أثناء الدقائق القليلة التى بقى فيها فى الغرفة وحده .

وأخرجت من جيبها مفتاحاً وفتحت الخزانة .. وما كانت تفعل حتى

تنهدت فى ارتياح ، فقد كان بداخل الخزانة عقد رائع من اللؤلؤ ، أخذته ونظرت الى بارنيت وقد اطمأنت .. ولكن بارنيت انفجر ضاحكا وقال :

– الحق أنه عقد رائع وجميل ولا يستغرب أن يسرقه اللص .

نظرت البارونة إليه مشدوهة وسألته :

– وكيف تسنى له سرقته انه حاول طبعاً ولكنه باء بالفشل .

– هل أنت واثقة مما تقولين يا سيدتى البارونة ؟

– طبعا . فالعقد فى يدى ، والشئ المسروق يختفى كما تعلم .

– بل قولى إن فى يدك عقداً ، ولكن هل أنت واثقة من أنه عقدك الأصلى ، وأن له قيمة ما .

– طبعاً ، فقد عرضته منذ اسبوعين على أحد تجار المجوهرات ، وقد قدره بنصف مليون فرنك .

– منذ اسبوعين ؟ .. أى قبل الحادث الذى وقع فى هذه الغرفة بخمسة أيام .. صحيح أننى لست متأكداً ، لأننى لم أفحص العقد بعد ، ولكننى أشعر بالارتياب .. أفلا تشاركيننى شعورى ؟

لم تنطق البارونة لأنها لم تعرف فيم يرتاب ، ولكنها أحست بقلق غامض ، ونظرت الى العقد الذى فى يدها فى شئ من الحيرة .. وتحقق لها فجأة أنه أخف من عقدها الذى تعرفه .. ولم تلبث أن لاحت عليها إمارات الفزع وقد تجلت لها الحقيقة فجأه ، وقال بارنيت :

– نعم ، نعم ، لقد أوضحت لك الحقيقة ، والأمر واضح كما ترين ، فإن الرجل الذى اقتحم الغرفة لم يسرق وانما استبدل شيئاً بشئ ، وبذلك لم يختف من الغرفة أى شئ .. ولولا أنه اصطدم بالفترينة فسقطت وصدر عنها

ذلك الصوت لما استيقظت ولما انكشف الأمر أبداً . . وما كنت لتعرفي أن العقد البديع الذى تتزينين به ما هو في الواقع إلا عقد مزيف لا يساوى اكثر من بضعة فرنكات .

ولزم بارنيت الصمت لحظة . ولكنه لم يلبث أن قال محاولاً أن يصل إلى هدفه بأسرع ما يمكن .

– وصلنا الآن الى أهم نقطة فى الموضوع ، وهى أن عقد اللؤلؤ اختفى ، ولكن لا يجب أن نتوقف عند هذه النقطة .. وعلينا الآن أن نحاول الاهتداء الى نقاط أخرى ، وأن نمحص كل شئ بدقة . وعليه فلنفترض أن زوجك ، رغم مرضه استطاع فى تلك الليلة أن يجر نفسه من غرفته حتى هنا ، وأنه استخدم الشمعة والمثقاب اللذين نسيهما العامل قبل انصرافه ، وأنه فتح الخزانة وقلب الفترينة ، وأنه هرب خوفاً من ان تكونى قد سمعته .. أفلا يبدو كل شئ جليا وواضحاً الآن ؟ .. ومن الطبيعى فى هذه الحالة أن لا يكون هناك ما يدل على دخول أو خروج أى شخص .. ومن الطبيعى أيضا أن تكون الخزانة قد فتحت دون أى اغتصاب وانه رآك خلال السنوات التى حظى فيها بالدخول الى مخدعك ، وأنت تفتحين الخزانة مراراً وتكراراً ، ولاحظ طريقة معالجتك لأرقامها وكيف تفتحينها .

بدا أن النظرية الصغيرة التى أبداها بارنيت قد أفزعت فاليرى الجميلة ، وكانت تصغى إليه كما لو أنها ترى كل ما حدث وتتذكر . وقالت فى ذهول :

– أنت مجنون . أن زوجى لا يستطيع .. اذا كان قد جاء فى تلك الليلة أحد فلا يمكن أن يكون زوجى .. إن هذا مستحيل .

ولكن بارنيت أردف قائلا :

– هل كانت هناك نسخة مقلدة من عقدك ؟

– نعم . صنع زوجي بدافع الحرص نسخة مقلدة منه منذ أربع سنوات .

– ومع من هذه النسخة ؟

أجابت في صوت خافت جداً :

– معه هو !

اختتم مسيو بارنيت حديثه قائلاً في مرح :

– هذه النسخة المقلدة هي التي تمسكين بها بين يديك الآن .. انها هي التي استبدلت بعقدك الحقيقي .. وهو الذي أخذه .. ولكن لأي سبب .. ان ثروته تضعه فوق كل الشكوك ، ولابد لنا ان نواجه أسبابا أخرى شخصية .. كالانتقام مثلا ، او حاجته إلحاق الضرر بك أو ربما معاقبتك ، أليس كذلك ؟ ان امرأة شابة وجميلة يمكن أن ترتكب بعض الحماقات ، حماقات مشروعة حقا ولكن قد يحكم عليها الزوج بشئ من القسوة .. وأرجو أن تعذريني ياسيدتي البارونة ، فليس لي ان اتدخل في أسراركما الزوجية ، وإنما على أن أبحث فحسب عن عقدك .

صاحت فاليري وهي تتراجع خطوة الى الوراء :

– كلا ، كلا . كانت تشعر بالذهول من ذلك الشيطان الذي استطاع في بضع دقائق من الحديث ، ولحظات من التهكم ، وبطريقة مخالفة لكل قواعد التحقيق أن يكتشف بسهولة عجيبة كل الأسرار التي تحيط بها ، وأن يريها بطريقة ساخرة الهوة التي يقودها القدر إليها ، ولم تعد تشعر بأية رغبة في سماع صوته الساخر ، وعادت تقول في إصرار :

– كلا .. انحنى أمامها وقال :

كما يحلو لك يا سيدتي . لم يكن في نيتي أن أزعجك ، وأنا هنا لكي

اؤدى لك خدمة ، واذ بلغنا هذه المرحلة فأنا مقتنع إنك تستطيعين اعفائى من مساعدتك خاصة وأن زوجك لا يمكنه أن يخرج ، وانه ليس من الحماقة بالطبع لكى يعهد بالعقد الى أى شخص ، وأنه لا يزال يحتفظ به مخبوءا فى مكان ما من غرفته .. وبالبحث الدقيق يمكنك العثور عليه .. ويبدو لى أن هذه المسألة قد أصبحت من اختصاص صديقى بيشو .. ولكن لى كلمة أخيرة . .اذا حدث واحتجت لى فاتصلى بى بالتليفون بالمكتب مساء اليوم من التاسعة الى العاشرة .. ولك تحياتى يا سيدتى .

ومن جديد قبل يدها دون أن تجرؤ على إبداء أية مقاومة ، ثم انصرف وهو يسير متبختراً فى ارتياح ، وأقفل الباب خلفه .

* * *

وفى نفس المساء طلبت فاليرى المفتش بيشو ، وبدا أن وجوده المستمر فى قصر أسرمان شيء طبيعى ، وبدأ المفتش القدير وتلميذ جانيمار المشهور بحثه الدقيق فى جميع أرجاء البيت ، فى الغرفة وفى دورة المياه ، وفى المكتب بالذات .. وكان العقد مكونا من ثلاثة صفوف من اللؤلؤ ، وهو بهذه الصورة لا يمكن اخفاؤه ، وخصوصاً عن رجل قدير مثله .. ومع ذلك فبعد ثمانية أيام من البحث والتفتيش الدقيق ، وبعد ليالى كان ينتهز فيها تناول البارون منوماً يقوم بنفسه بتفتيش الفراش ومايوجد تحته ، ثبطت همته ، وأعلن ان العقد لا يمكن ان يكون موجوداً فى القصر .

فكرت فاليرى أخيرا فى أن تلجأ الى مكتب بارنيت رغم نفورها من بارنيت نفسه ، وان تطلب معونته .. ماذا يهمها لو أنه قبل يدها أو دعاها بالبارونة العزيزة لو أنه يبلغ الهدف .

ولكن حدث فجأة حادث لم يكن فى الحسبان ، وقلب الموقف تماماً ففى

آخر أصيل ذلك اليوم أقبل أحد الخدم مسرعاً وابلغها أن زوجها تعرض لأزمة شديدة وأنه قد تهالك خائر القوى فوق أريكة بجوار باب دورة المياه وأنه يكاد يختنق وتدل سحنته المقلوبة على أنه يعانى آلاماً مبرحة .

واستولى الخوف على فاليرى واتصلت بالطبيب ، ولكن البارون تمتم قائلا

– فات الوقت .. فات الوقت .

فقالت : كلا . أقسم لك أنك ستكون على ما يرام .

حاول أن ينهض ، وقال وهو يتمايل نحو دورة المياه :

– أريد ماء .

– ولكن الدورق مملوء أمامك يا صديقى .

– كلا ، كلا . لا أريد هذا الماء .

– ولماذا هذه النزوة ؟

– أريد أن أشرب الماء الآخر .. من هذا الصنبور .

ثم وقع وقد خارت قواه .. وفتحت الصنبور الذى أشار إليه ، ثم مضت لكى تأتى بكوب ، ملأته وناولته اياه .. ولكنه رفض أن يشرب .

وخيم صمت طويل ، والماء يجرى من الصنبور فى هدوء ، وملأت الغضون وجه المحتضر وأشار إليها بأن لديه ما يريد أن يقوله لها فانحنت فوقه . ولكن لاريب أنه خشى أن يسمعه الخدم لأنه قال :

– اقتربى اكثر .. اقتربى .

ترددت كما لو انها خشيت ماسوف يقول .. ولكن نظرة زوجها اتخذت سمة آمرة أجبرتها أن تذعن فجثت بجواره والصقت اذنها بفمه تقريباً

وهمس بكلمات غير مفهومة استطاعت ان تخمن معناها بكل جهد :

– عقد اللؤلؤ .. يجب أن تعرفى قبل أن أرحل .. انت لم تحبينى أبدا وتزوجتنى بسبب ثروتى .

احتجت غاضبة ، إزاء هذا الاتهام القاسى فى هذه الساعة الخطيرة ، ولكنه أمسك بمعصمها وعاد يقول في غموض كما لو أنه يهذى :

– بسبب ثروتى ، وقد برهنت على ذلك بسلوكك ، فأنت لم تكونى زوجة مخلصة ، ولهذا أردت معاقبتك ، وأنا أعاقبك فى هذه اللحظة بالذات ، وأشعر بسرور كبير .. ولكن يجب أن يقع ذلك، وقبل أن أموت ، لأن اللآلئ ستختفي .. انك لا تسمعينها الآن وهى تسقط وتمضى مع التيار .. آه ياله من عقاب يا فاليرى .. القطرات التى تسقط .. القطرات التى تسقط !

وخارت قواه ، وحمله الخدم الى فراشه .. وأقبل الطبيب بعد قليل ، وأقبلت أيضا ابنتا أخ له ، متقدمتان فى السن ، علمتا بما يعانيه ، ولم تتحرك أى منهما من الغرفة بعد ذلك .. وبدا عليهما الاهتمام بكل حركات فاليرى والاستعداد للدفاع عن الأدراج والدواليب ضد كل محاولة .

ومات البارون أسرمان قبل بزوغ الفجر ، دون أن ينطق بكلمة أخرى . ووضعت الأختام على كل الغرف ، وعلى المفروشات بناء على طلب ابنتى الأخ ، وبدأت مراسم الجنازة الطويلة والسهر .

وبعد يومين أقبل محامى البارون ، وطلب مقابلة فاليرى على حدة . وكانت ملامحه تنطق بالخطورة والحزن وقال لها :

– إن المهمة الملقاة عليّ عصيبة يا سيدتى البارونة ، وأريد الفراغ منها بأسرع ما يمكن ، مؤكداً لك مسبقاً أننى لم أوافق على الضرر الذى يقع

عليك . ولكننى اصطدمت بارادة حديدية لاتلين ، وأنت تعرفين إصرار مسيو أسرمان ، ورغم كل مابذلت من جهد .

توسلت فاليرى إليه قائلة :

– أرجوك أن تتكلم يا سيدى .

– إليك الأمر اذن يا سيدتى . ان بين يدى الوصية الأولى لمسيو أسرمان ويرجع تاريخها الى عشرين سنة ، يوصى لك فيها بكل شئ كوريثة شرعية وحيدة .. ولكن يجب أن أقول لك إنه عهد الى فى الشهر الماضى بتحرير وصية أخرى يترك فيها كل شئ لابنتى أخيه .

– وهل معك هذه الوصية ؟

– بعد أن قرأها لى وضعها فى هذا المكتب ، أراد أن لا يطلع عليها أحد إلا بعد اسبوع من وفاته ، ولا يمكن أن ترفع الأختام قبل هذا التاريخ .

أدركت البارونة الآن لماذا نصحها زوجها ، قبل بضع سنوات فى الوقت الذى وقعت فيه المشاحنات بينهما ، أن تبيع كل مجوهراتها وأن تشترى بثمنها عقداً من اللؤلؤ .. وحيث أن العقد مزيف ، وأنها ستحرم من الميراث فلن تكون لها أية ثروة ، ولن يكون لها أى مورد

وفى اليوم السابق لرفع الأختام ، توقفت سيارة أمام محل متواضع بشارع دى لابورد عليه هذه اللافتة :

"مكتب بازنيت وشركاه مفتوح من الساعة الثانية الى الثالثة " استعلامات مجانية .

وهبطت من السيارة امرأة ترتدى ثياب الحداد ، ودقت على الباب فقيل لها أن تدخل .

ودخلت ، وسمعت صوتاً تعرفه ، يقول من غرفة داخلية يفصل بينها وبين المكتب ستارة .

– من القادم ؟.. أجابت :

البارونة أسرمان .

– آه ، معذرة ياسيدتى البارونة .. تفضلى بالجلوس . سأحضر حالاً .

انتظرت فاليرى أسرمان وراحت تفحص المكان .. كان عاديا تقريباً ، ليس به غير منضدة ومقعدين ، والجدران عارية .. لا ملفات ولا أية أوراق . والشئ الوحيد الذى يزين الغرفة جهاز تليفون ، وبجواره بعض أعقاب السجائر الفاخرة ، ويفوح من المكان رائحة رقيقة وأزيحت الستارة ، وبرز من خلفها جيم بارنيت ، خفيف الحركة ، وعلى شفتيه ابتسامة . نفس السترة الطويلة المستهلكة ، وربطة عنق جاهزة ومربوطة بغير إحكام ، ونفس المونوكل فى آخر شريط أسود .

أسرع بالانحناء فوق يدها وقبل القفاز ثم قال :

– كيف حالك أيتها البارونة . هذا شرف كبير لى ، ولكن ما الخبر ؟ هل أنت فى حداد ؟ أرجو ألا يكون الأمر خطيراً .. آه .. يا الهى ! ماأشد شرودى ! اننى أتذكر .. البارون أسرمان ، اليس كذلك ؟ يا لها من كارثة . لقد كان رجلاً ظريفاً جداً ، وكان يحبك كل الحب . والآن ؟ .. إلى أين كنا وصلنا ؟

وأخرج من جيبه نوتة صغيرة تصفحها ثم قال :

– البارونة أسرمان .. هو ذلك .. اننى أتذكر .. اللآلئ المزيفة ! .. والزوج السارق .. إمرأة جميلة .. بل جميلة جداً .. يجب ان تكلمنى فى

التليفون .

وأردف يقول فى ألفة متزايدة :

– حسنا يا سيدتى العزيزة .. أننى مازلت أنتظر مكالمتك التليفونية .

تحيرت فاليرى مرة أخرى إزاء سلوك ذلك الرجل .. وبدون أن تظهر كامرأة فجعها موت زوجها ، أحست رغم ذلك بمشاعر شاقة زاد من صعوبتها القلق من المستقبل ومن بشاعة الفاقة .. وكانت قد قضت خمسة عشر يوما قاسية ، تتخيل فيها الدمار واليأس بكوابيس حافلة بتبكيت الضمير والفزع والانزعاج ، مازالت آثارها تبدو على ملامحها .. وها هى تجد نفسها الآن أمام شاب مرح ، ساخر ، لايبدو أنه يفهم الموقف تماماً .

ولكى تكسب الحديث اللهجة المناسبة ، روت له الأحداث بكل هدوء ووقار متحاشية انتقاد زوجها ، وأعادت عليه كلمات المحامى ، فقال المخبر وعلى شفتيه ابتسامة استحسان :

– حسن .. حسن جداً .. كل هذا مترابط تماماً .. ان من دواعى السرور أن أرى أن هذه المأساة العاطفية قد دارت بكل نظام وترتيب .

سألته فاليرى وقد ازدادت حيرتها :

– من دواعى السرور ؟

– نعم . وهو سرور لاريب أن صديقى بيشو قد شعر به ، لأننى أظن أنه شرح لك .

– ماذا ؟

– ماذا تقولين ؟ أعنى أنه لاريب شرح لك عقدة المكيدة ، ولغز الموضوع لا ترين أن الأمر غريب ومضحك ؟ .. لاريب أن بيشو ضحك ما شاء له أن

يضحك.

وراح بارنيت يضحك من قلب خلى ، ثم قال :

– آه .. حكاية صنبور المياه ! وانها لحكاية جميلة .. ولكنها دبرت بكل إحكام . وأعترف لك بأننى أدركت الحقيقة حالاً .. وعندما حدثتنى عن عامل سباك رأيت على الفور العلاقة بين إصلاح الحوض وخطة البارون أسرمان وقلت لنفسى : ان هذا لغريب ، ففى نفس الوقت الذى استبدل فيه البارون العقد الصحيح بالعقد الزائف ، أعد مخبأ أميناً للآلئ الحقيقية ، فقد كان ذلك ضرورياً بالنسبة له ، أليس كذلك ؟ فلو أنه سلبك اللآلئ لكى يلقيها فى نهر السين كشئ لا قيمة له يراد التخلص منه ما كان ذلك إلا ليكون نصف انتقام ، ولكى يكون ذلك الانتقام كاملاً وتاماً ، ورائعاً ، كان لابد له من الاحتفاظ باللآلئ بجواره وان يضعها فى مخبأ قريب لا يمكن الوصول إليه . وهذا ما حدث .

كان يبدو على جيم بارنيت أنه يلهو كثيراً ، واستطرد وهو يضحك :

– وهذا ما حدث بفضل التعليمات التى أصدرها للسباك .. وأخالك تسمعين من هنا الحديث الذى دار بين البارون والسباك :

اسمع يا صاحبى ، افحص هذه الانبوبة التى يتفرغ منها الماء من الحوض .. انها تهبط حتى العامود وتمتد من دورة المياه الخاصة بى فى انحدار يكاد لا يلحظ ، أليس كذلك ؟ حسناً . سوف تخفف هذا الانحدار وترفع الأنبوبة من هذا المكان قليلاً بحيث تحدث نوعاً من تجويف مسدود يمكن أن يبقى فيه شئ عند الحاجة ، واذا فتح أحد الصنبور فسوف يجرى الماء ويملأ ذلك التجويف ويجرف الشئ الذى فيه معه هل تفهم ياصاحبى؟ نعم ؟ حسناً . اذا كان الأمر كذلك فانقب لى ثقباً فى هذا المكان من

الأنبوبة ، عند الحائط على أن يكون قطره نحو سنتيمتر وبحيث لايراه أحد تماماً ، في هذا الموضع .. هذا رائع .. والآن سد هذا الثقب بهذه السدادة الكاوتشوك . . هكذا .. حسناً جدا ياصاحبي .. لم أعد بحاجة الآن إلا أن أشكرك ، وان يبقى هذا الأمر بيننا سرا .. اتفقنا ؟ .. ولا كلمة واحدة لأى أحد .. الصمت التام . . وإليك مايكفل لك أن تستقل قطار بروكسل الليلة ، وهاك ثلاثة شيكات يمكن ان تقبض قيمتها هناك .. شيك كل شهر .. وأنت حر في أن تعود بعد هذه الشهور الثلاثة .. والوداع ياصاحبي .. ثم يشد على يده .. وفي الليلة التي سمعت فيها الصوت الذي أيقظك من نومك ثم استبدال اللآلئ الحقيقية بالأخرى المزيفة في المخبأ المعد ، أي في التجويف الذي أحدثه في الأنبوبة .. هل تفهميني الآن ؟ واذ أحس بأنه يوشك أن يموت استدعاك وطلب منك كوباً من الماء .. كلا .. ليس من الماء الذي في الدورق وانما من الصنبور .. وأطعته أنت ، وهذا هو العقاب الرهيب الذي اوقعته على نفسك ، وبيدك أنت بالذات ، فقد فتحت الصنبور وجرى الماء وجرف معه اللآلئ .. وتمتم البارون عندئذ في حماس واهتياج : هل تسمعين ؟ .. انها تسقط .. أنها تسقط في الظلمات .

* * *

أصغت البارونة في صمت واضطراب .. ومع ذلك ، ففضلاً عن فظاعة القصة التي سمعتها والتي تظهر فيها كل تلك القسوة وكل الكراهية ، وكل الحقد الذي أحس به زوجها نحوها تذكرت شيئا آخر استخلصته من الحقائق بدقة مخيفة وقالت :

– اذن ، فأنت كنت تعرف ؟ كنت تعرف الحقيقة ؟.. أجاب :

عجباً ! .. أليست هذه مهنتي ؟

- ولم تقل لى شيئاً ؟

- كيف هذا ؟ ولكن انت ايتها البارونة التى منعتنى من أن أقول لك كل ما أعرفه وما كنت أوشك أن أحيطك به علماً ، وصرفتنى فى شئ من القسوة . وأنا رجل كتوم بطبعى فلم أصر .. ثم كان لابد لى من أن أتحقق .

تمتمت فاليرى :

- وهل تحققت ؟

- اوه .. كان ذلك بدافع الفضول .

- متى ؟ .. فى أى يوم .

- فى نفس تلك الليلة بالذات .

- تلك الليلة ؟ .. هل استطعت دخول البيت والشقة ؟ .. ولكننى لم أسمع

- اننى اعتدت العمل دون أن يصدر منى أى صوت .. ولم يسمع البارون أسرمان شيئا هو الآخر .. ومع ذلك .

- ومع ذلك ؟ .

- لأننى أوسعت الثقب بالانبوبة .. ذلك الثقب الذى أدخل منه زوجك العقد

ارتجفت وقالت :

- اذن .. اذن .. فأنت قد رأيت ؟

- رأيت ؟

- اللآلئ ؟

- كانت اللآلئ موجودة .

عادت فاليرى تقول فى صوت خافت مكتوم :

- إذا كانت هناك .. فقد استطعت اذن أن تأخذها ؟

اعترف ببساطة :

أظن ياسيدتى أنه لولاى ، انا جيم بارنيت، للحقت بالمصير الذى أراده لها أسرمان يوم موته .. ذلك المصير الذى وصفه لك . انها تسقط .. انها تسقط فى الأعماق .. قطرات تسقط .. ولأفلح انتقامه .. وانها لخسارة فهو عقد جميل .. وتحفة لمن يحتفظ به .

لم تكن فاليرى من النساء اللاتى ينفعلن ويخضعن للغضب بسهولة وذلك حتى تظل محتفظة بوقارها وهدوئها .. ولكن الغضب تملكها بشكل جنونى فى تلك اللحظة ، بحيث أنها انقضت على بارنيت وحاولت الإمساك بخناقة قائلة :

- هذه سرقة .. ما أنت إلا أفاق .. كنت أشك فى ذلك .. أفاق ومحتال .

ابهجت كلمة محتال الشاب وتمتم :

- محتال .. هذه كلمة جميلة .

ولكن فاليرى لم تتوقف ، بل راحت تذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً وهى تهتز من فرط الغضب . وقالت :

- لن أسكت على هذا .. ستعيده إلى على الفور وإلا ابلغت البوليس .

هتف يقول :

أوه ياللمشروع البغيض ! كيف يمكن لامرأة جميلة مثلك أن تعامل مخلصاً وأميناً هذه المعاملة الجافة ؟

هزت كتفيها وقالت بلهجة الأمر :

– عقدى !

– عجباً ! ولكنه تحت تصرفك . هل تظنين أن جيم بارنيت يسلب الناس الذين يشرفونه باستخدامه ؟ .. هذا عجيب ! وكيف يكون من أمر مكتب بارنيت وشركاه الذى تقوم شهرته على استقامته ونزاهته المطلقين ؟ اننى لا أطالب عملائى بأى شئ ولو أننى احتفظت بعقدك فاننى اكون لصاً ومحتالاً فى حين أننى رجل شريف ها هو عقدك يا عزيزتى البارونة .

وقدم لها كيساً من القماش يحتوى على اللآلئ ووضعه فوق المنضدة دهشت البارونة ، وأمسكت العقد الثمين بيدها المرتعشة ولكنها خشيت فجأة أن يكون فى الأمر حيلة ما لأنها أسرعت نحو الباب دون تردد . فضحك بارنيت وقال :

– أراك على عجل من أمرك ياسيدتى .. أفلا تفحصين حبات اللؤلؤ أولا ؟ مائة وخمسة وأربعون لؤلؤة .. وكلها موجودة . وهى اللآلئ الحقيقية هذه المرة .. قالت فاليرى :

– نعم ، نعم . اننى أعرف .

– وهل أنت واثقة ؟ هل أنت واثقة أنها نفس اللآلئ التى قدر ثمنها بخمسمائة الف فرنك ؟

– نعم . انها هى بنفسها .

– هل أنت متأكدة ؟.. قالت دون تردد :

– نعم .

– مادام الأمر كذلك فاننى أشتريها منك .

– تشتريها منى ؟ .. ما معنى ذلك ؟

- معناه أنك الآن وقد أصبحت بدون ثروة فسوف تضطرين الى بيعها . ومن الأوفق أن تبيعيها لى ، فأنا أعرض عليك اكثر مما سيعرضه غيرى أعرض عليك مايوازى قيمتها عشرين مرة ، فبدلا من خمسمائة ألف فرنك ، فأنننى أعرض عليك عشرة ملايين . آه .. آه ! .. أراك وقد بهت ، فان عشرة ملايين مبلغ ضخم .

- عشرة ملايين ؟

- تماماً .. وهى القيمة التى يقدر بها ميراث مسيو أسرمان .

توقفت فاليرى أمام الباب وقالت :

- ميراث زوجى ؟ .. اننى لا أرى العلاقة .. أوضح الأمر .

قال جيم بارنيت فى هدوء وهو يضغط على كلماته :

- إن التفسير بسيط ويكمن فى بضع كلمات . عليك أن تختارى بين عقد اللؤلؤ وبين الميراث .. رددت دون أن تفهم :

عقد اللؤلؤ .. والميراث ؟..

- هو ذلك .. فهذا الميراث ، كما قلت لى مرتبط بوصيتين : الأولى فى صالحك والثانية فى صالح ابنتى الأخ العجوزتين ، وهما تملكان ثروة طائلة وشريرتان ، كما لو كانتا ساحرتين .. فاذا لم توجد الوصية الثانية تصبح الأولى نافذة المفعول .

تمتمت فى صوت أصم :

- يجب أن ترفع الأختام غداً وأن تفتح أدراج المكتب ، والوصية فيه .

قال بارنيت مزمجراً :

الوصية فيه .. أو ليست فيه .. واعترف فى تواضع شديد أنها ليست فيه

- هل هذا ممكن ؟

- ممكن تماماً .. بل يكاد يكون أمراً مؤكداً ، فاننى أتذكر فى الواقع أننى فى الليلة التى تبادلنا فيها الحديث ، أنا وأنت ، عندما أتيت لجس انبوبة الحوض انتهزت الفرصة لكى أقوم بزيارة لغرفة زوجك العزيز ، وكان غارقاً فى النوم .. قالت وهى ترتجف :

- وهل أخذت الوصية ؟

- يبدو ذلك .. وأظن انها مكتوبة فى هذه الورقة بخط ردئ.

وبسط ورقة مدموغة عرفت فيها خط مسيو أسرمان وقرأت ما يلى :

" أنا الموقع أدناه ، المالي جوزيف أسرمان ، أقر بأن زوجتى لا يمكن ان تطالب بثروتى وذلك لأسباب خاصة تعرفها هى واننى.."

ولم تكمل فقد اختنق صوتها ، وتهالكت فوق المقعد وقد خارت قواها وتلعثمت قائلة .

- إنك سرقت هذه الورقة .. لا أريد أن اكون شريكة .. يجب أن تنفذ إرادة زوجى المسكين .. يجب ذلك .

أبدى جيم بعض الحماس وقال :

- آه . ما أجمل هذا الذى تقولين ، ياصديقتى العزيزة .. الواجب هنا ، فى التضحية ، وأنا أقرك تماماً ، لاسيما أنه واجب شديد القسوة ، لأن ابنتى الأخ المذكورتين غير جديرتين بأى اهتمام ، وانت نفسك التى تضحين بنفسك بسبب أحقاد مسيو أسرمان .. ولماذا ؟ .. أبسبب بضع تفاهات صدرت منك فى شبابك تقبلين مثل هذا الظلم ؟ فاليرى الجميلة

تحرم نفسها من الترف الذى تستحقه وتضطر لأن تعيش فى الفقر والفاقة ! مهما يكن فاننى أهيب بك أن تفكرى جيداً فى الأمر أيتها البارونة .. فكرى فى الأمر وفى نتائجه الممكنة .. اذا اخترت العقد ، وأعنى لكى لا يكون بيننا أى سوء تفاهم ، اذا خرج هذا العقد من هذه الغرفة فان المحامى سيتلقى غداً هذه الوصية الثانية وتحرمين من الميراث ، وإلا .

– وإلا .

– وإلا فلن يعرف أحد بأمر الوصية الثانية ، وترثين أنت كل الثروة .. عشرة ملايين تؤول إليك بفضل جيم بارنيت .

* * *

كان الصوت ساخراً . . وأحست فاليرى بالضيق والاختناق . عجزت عن الحركة كفريسة وقعت بين يدى ذلك الشيطان .. لم يكن هناك أية مقاومة مستطاعة ، فهى اذا لم تترك العقد فسوف تصبح الوصية الثانية علنية ، ومع مثل هذا الخصم لم يكن هناك أى أمل ، ولن يقبل أبداً .

وقضى جيم بارنيت لحظة وجيزة خلف الستارة .. وكان من الجرأة بحيث عاد بعد برهة وقد دهن وجهه بمادة دهنية وراح يمسحها شيئاً فشيئاً كما يفعل الممثلون عندما يتنكرون .

بدا لها عندئذ بهيئة أخرى ، أصغر سناً ببشرة جميلة صحية وقد غير عقدة رقبته برباط أنيق واستبدل السترة الطويلة المستهلكة بجاكيت على أحدث طراز ، وتصرف كرجل لا يمكن أن يخونه أحد أو أن يشى به . كان واثقا من أن فاليرى لن تجرؤ أبداً أن تذكر كلمة من كل ذلك لأحد ، ولا حتى للمفتش بيشو ، وان سره سوف يصان .. وانحنى نحوها وقال وهو يضحك :

– يخيل الى أنك ترين الأمور الآن بصورة اكثر وضوحاً .. وهذا أفضل . وعلى كل حال فمن ذا الذى يمكنه أن يعرف ان البارونة أسرمان تتزين بعقد زائف .. لا أحد من أصدقائها أو صديقاتها ، بحيث أنك تكسبين معركة مزدوجة ، فتحتفظين فى نفس الوقت بثروتك الشرعية وبعقد لن يشك أحد فى حقيقته .. أليس هذا جميلاً ؟ أو لا تبدو لك الحياة بصورة اكثر إمتاعاً .. الحياة الجميلة المثيرة بمرحها ولهوها وحلاوتها حيث يمكن أن تقومى فيها بكل الحماقات التى يستحقها سنك .

لم يكن فى نية فاليرى أن تقوم بأية حماقات ، فرمت جيم بارنيت بنظرة حافلة بالحقد والغضب ، وخرجت رافعة الرأس وتركت فوق المنضدة الكيس الصغير الذى يحتوى على العقد .

وقال جيم بارنيت يحدث نفسه وهو يعقد ذراعيه فى سخط :

– وهذه ما يسمونها امرأة شريفة ! .. يحرمها زوجها من ثروته لكى يعاقبها على مباذلها ولا تحفل بإرادته الأخيرة .. هناك وصية ، ولكنها تخفيها ، ومحام تخدعه .. وابنتا أخ تسرقهما .. وياله من شئ منفر وفظيع وما أجمل دور المنتقم الذى يعاقب ويعيد الأمور الى مكانها الحق .

ووضع جيم بارنيت العقد فى خفة فى مكانه الحق ، أى فى جيبه ، ثم ، وبعد أن فرغ من ارتداء ثيابه ووضع سيجاراً فخماً بين شفتيه والمونوكل فوق عينه ، غادر مكتب بارنيت وشركاه .

***

٢ رسالة غرام من الملك چورچ

طرق بعضهم الباب بينما كان مسيو بارنيت ، بمكتب بارنيت وشركاه يغفو فوق مقعده ، في انتظار عميل ، فقال :

– ادخل .

وعندما رأى الوافد الجديد صاح قائلاً :

– آه . المفتش بيشو ! .. جميل منك أن تزورني .. كيف حالك أيها الصديق العزيز ؟

كان المفتش بيشو يختلف في المظهر ، وفي المسلك ، عن النمط المألوف لرجل البوليس ، فقد كان مفرط الأناقة يعني بعقدة رباط عنقه وينشي ياقة قميصه .. كان شاحب الوجه ، طويل القامة ، نحيف الجسم بادي الضعف ولكن له ذراعان ضخمان ورأس قوية يبدو كما لو أنه استعارها من أحد أبطال الملاكمة ، وعلقها كيفما اتفق على جسده بوزن الريشة .. وكان فخورا به على كل حال ، ويرتسم على ملامحه مرح صبياني دائم ، ونظرته لا تخلو من الذكاء والحدة . وأجاب على سؤال بارنيت :

– مررت بك في طريقي . ولما كنت أعرف عاداتك المنتظمة ، فقد قلت لنفسي : آه . هذه هي الساعة التي يستجم فيها جيم بارنيت ، وإذا أنا

توقفت ..

أكمل جيم بارنيت عبارته قائلاً :

- لكى اسأله المشورة .

اعترف المفتش الذى كان يدهشه ذكاء بارنيت فقال :

- ربما .

ومع ذلك فقد بدا عليه التردد .. فقال له بارنيت :

- ما الخبر إذن ؟ .. هل تبدو لك الاستشارة صعبة ؟

ضرب المفتش المنضدة بقبضته ضربة قوية وقال :

- الواقع اننى متردد الى حد ما ، فقد اتفق أن اشتركنا فى العمل معا ثلاث مرات ، فى تحقيقات عويصة ، انت بصفتك مخبراً سرياً ، وأنا بصفتى كمفتش بوليس ، وخيل إلى فى المرات الثلاث أن الأشخاص الذين طلبوا معونتك ، ومنهم البارونة أسرمان بالذات يفترقون عنك وهم يشعرون نحوك بضغينة ما .

قاطعه بارنيت قائلا :

- كما لو اننى انتهزت الفرصة ومارست معهم الابتزاز .

- كلا . لا أريد أن أقول هذا .

ربت بارنيت على كتفه وقال :

لاتنس أيها المفتش شعار المكتب : " استعلامات مجانية " . حسنا ، أقسم لك بشرفى اننى لم أطالب عملائى بأى شئ ، واننى لن أقبل منهم شيئاً أبداً .

تنفس بيشو فى ارتياح وقال :

– اشكرك .. انك تعرف طبعاً ان ضميرى المهنى لا يسمح لى أن أتعاون معك إلا ببعض الشروط ، ولكن الواقع ، واسمح لى أن أكون متطفلاً ما هى موارد المكتب ؟!

– ان كثيرين من رجال الخير يمولوننى ، وهم يريدون الاحتفاظ بالسرية .

ولم يصر بيشو ، فى حين استطرد بارنيت :

– والآن يا بيشو .. أين وقعت القضية التى أتت بك إلى ؟

– على مقربة من مارلى .. قتل رجل اسمه فوشيريل ، فهل سمعت عنه ؟

– فى شئ من الغموض .

–لايدهشنى هذا فان الجرائد لم تهتم بهذه الجريمة بعد ، رغم غرابتها الشديدة .

– انه قتل بطعنة سكين ، أليس كذلك ؟

– نعم . بين كتفيه .

– وهل هناك بصمات أصابع على السكين ؟

– كلا .. لاريب ان مقبض السكين كان ملفوفاً بقطعة من الورق ، فقد وجدناها بين الرماد .

– أليست هناك أدلة أخرى ؟

– ولا دليل واحد .. لا شئ غير الفوضى ..الأثاث مقلوب ، وأحد أدراج المكتب مكسور ، ولكن لم نتمكن من معرفة سبب كسره أو ما الذى أخذه

القاتل .

– وعلام أسفر التحقيق ؟

– إن رجال التحقيق يقومون الآن بعمل مواجهة بين السيد ليبوك ، وهو موظف متقاعد ، وبين ابناء العم جوبو الثلاثة .. وهم ثلاثة من أسوأ الأشرار ؛ مشهورون بالنهب والسلب وسرقة الدجاج والطيور .. وكل من الجانبين يتهم الآخر ، وذلك دون أى دليل ، بارتكاب الجريمة .. هل تريد أن نمضى بالسيارة لحضور الاستجواب ؟

– هلم بنا .

– ولكن لى كلمة أخيرة يا بارنيت .. ان المسيو فورميرى الذى يقوم بالتحقيق فى القضية يريد لفت الأنظار إليه للفوز بوظيفة فى باريس ، وهو قاس دقيق وحساس ، لن يطيق دعاباتك وتهكماتك التى يحلو لك أن توجهها الى رجال العدالة .

– أعدك يا بيشو أن أعامله بما يليق به من احترام .

* * *

فى منتصف الطريق بين بلدة فونتين وغابة مارلى ، يقوم وسط قطعة من الأرض بيت صغير من طابق واحد ، منخفض الجدران ، وبه بستان متواضع للخضر يعرف باسم "الكوخ" كان يقطنه قبل ذلك بثمانية أيام كتبى قديم يدعى فوشيريك ، لم يكن يغادر مملكته الصغيرة من الزهور والخضر إلا لكى يمضى ، من وقت لآخر ، الي باريس للتنقيب عن الكتب على أرصفتها .. وكان معروفاً بشدة بخله وثرائه ، رغم أنه كان يعيش عيشة متواضعة .. لم يكن يستقبل أحداً أبداً ، فيما عدا صديقه ليبوك الذى يقطن

فى فونتين .

وكان قد تم إعادة تمثيل الجريمة واستجواب السيد ليبوك .. وكان القضاة يتجولون فى الحديقة عندما هبط جيم بارنيت والمفتش بيشو من السيارة .. وقدم بيشو نفسه لرجال الشرطة الذين يحرسون البيت ، فسمحوا له بالدخول ، فمضى ومعه بارنيت ، وانضما إلى قاضى التحقيق ووكيل النيابة فى اللحظة التى توقفا فيها بجوار أحد الجدران . وبدأ أبناء العم جوبو الادلاء بأقوالهم .. كانوا ثلاثة من الرجال الأجلاف الذين يعملون في المزارع لمن يريد استخدامهم ، لا يجمع بينهم شئ غير تعبير ماكر وعنيد على وجوه متنافرة .. وقال أكبرهم :

– نعم ياسيدى القاضى .. اننا أسرعنا هنا لنجدة القتيل .

– وهل كنتم قادمين من فونتين ؟

– نعم . وكنا عائدين إلى العمل فى الساعة الثانية ونتحدث مع الأم ونيز بالقرب من هنا عندما بدأت الصرخات ، فقلت : هناك من يستغيث ، والصوت صادر من "الكوخ" . وكنا نعرف ان مسيو شوفيريل يقيم فيه يا سيدى القاضى ، فأسرعنا ووثبنا فوق السور رغم قطع الزجاج التى تعلوه ، واجتزنا الحديقة .

– وأين كنتم بالتحديد عندما انفتح باب البيت ؟

قال جوبو الأكبر وهو يتقدم الجماعة إلى قطعة منبسطة من الأرض :

– هنا بالذات .

قال قاضى التحقيق وهو يشير الى الدرجتين اللتين تؤديان إلى البهو :

– أى على بعد خمسة عشر متراً من السلم .. ومن هذا المكان رأيتم .

– مسيو ليبوك نفسه .. رأيته كما أراك الآن .. كان يسرع بالخروج ، كما لو أنه ينشد الفرار .. وعندما رآنا أسرع بالدخول من جديد .

– هل أنت واثق من أنه كان مسيو ليبوك ؟

– كل الثقة .. وأقسم على ذلك .

تحول القاضي إلي الشابين الآخرين مستفهماً ، فأقسما بأنهما رأيا مسيو ليبوك بالذات .

– ألا يمكن ان تكونا قد أخطأتما ؟.. قال الأكبر :

– انه يقيم بجوارنا ، فى فونتين منذ خمسة أعوام ، بل إننى ذهبت إليه باللبن كثيراً .

أصدر القاضى أوامره ، ففتح باب البهو ، وأقبل من الداخل رجل فى الستين من عمره ، يرتدى ثوباً من الكتان المحبوك ، وعلى رأسه قبعة من القش ، له وجه باسم ومتورد .. وقال أبناء العم الثلاثة فى وقت واحد :

– مسيو ليبوك .

وتكلم وكيل النيابة فقال :

من الواضح أنه لا يمكن ان يقع أي خطأ من هذه المسافة وأن ابناء العم جوبو الثلاثة لم يخطئوا فى شخصية الهارب .. قال القاضى :

– بالتأكيد . ولكن هل يذكرون الحقيقة ؟ .. وهل رأوا مسيو ليبوك حقاً ؟

ودخل الجميع البيت ، وانتقلوا الى قاعة فسيحة بدت جدرانها كأنها مكسوة بالكتب .. ولم يكن بها غير بضع قطع من الأثاث : منضدة كبيرة ، تلك التى انكسر أحد جوانبها ، وصورة بالحجم الطبيعى وبدون إطار

لفوشيريل نفسه .. رسم تخطيطي بالألوان ، كما لو أن رساماً فاشلاً قد حاول أن يبرز شخصية الرجل .

وعلى الأرض تمثال بالحجم الطبيعي للقتيل .

وعاد القاضي يقول :

– ألم ترى ياجوبو مسيو ليبوك ثانية عندما دخلت ؟

– كلا . وانما سمعنا أنيناً ينبعث من هنا فأسرعنا على الفور.

– اذن فقد كان مسيو فوشيريل لا يزال على قيد الحياة ؟

– اوه .. كان في حالة ميئوس منها بالطبع .. راقداً على صدره والسكين بين كتفيه .. وجثونا بجواره .. كان المسكين ينطق ببعض الكلمات .

– وهل سمعتموها ؟

– لم ينطق إلا بكلمة واحدة رددها اكثر من مرة فقد قال :

– مسيو ليبوك "مسيو ليبوك" . ومات وهو يتلوى .. وجرينا عندئذ في كل مكان ، ولكننا لم نجد لمسيو ليبوك أثراً .. ولا ريب أنه هرب من نافذة المطبخ ، وكانت مفتوحة ، ثم مضى من الطريق الضيق الذي يغطيه الحصى حتى بيته .. وذهبنا عندئذ ، نحن الثلاثة إلى مركز الشرطة ، وروينا ما حدث .

ألقى القاضي بضعة أسئلة أخرى .. وأوضح من جديد التهمة التي يوجهها ابناء العم الثلاثة نحو ليبوك .. ثم تحول إلى هذا الأخير :

وكان مسيو ليبوك قد أصغى اليهم دون أن يقاطعهم ، وحتى دون أن يزايله هدوئه ، أو أن يبدو عليه أي تأثير .. بل على العكس ، فيبدو ان أقوال

أبناء العم جوبو بدت له من الحماقة والغباء بحيث لم يبد بها اى اهتمام ، كما بدا له أنها لم تحدث أى تأثير فى رجال العدالة هم الآخرون .. وسأله القاضى قائلاً :

– أليس عندك ما تقول يا مسيو ليبوك ؟

– لا جديد عندى .

– أمازلت تؤكد ؟..

– مازلت أؤكد ما تعرفونه مثلى ياسيدى القاضى ، وأعنى الحقيقة .. أن أهالى فونتين الذين استجوبتموهم اكدوا لك أن مسيو ليبوك لايبرح بيته أبداً أثناء النهار ، فانهم يأتونه بطعام الغداء من الحانة ويمضى وقته من الساعة الواحدة حتى الرابعة فى القراءة أمام نافذته ، ويدخن غليونه . والجو كان صحواً فى ذلك اليوم . كانت نافذتى مفتوحة ، وقد رآنى خمسة أشخاص ، كما اعتادوا أن يرونى كل يوم من خلال سور حديقتى .

– اننى استدعيتهم لأستجوابهم آخر النهار .

– هذا حسن .. سيؤكدون لك ماسبق أن أدلوا به ، وهو اننى لا أستطيع أن اكون هنا وفى بيتى فى وقت واحد ، وسوف تتأكد ياسيدى القاضى أنهم لم يرونى أخرج من "الكوخ" .. وأن صديقى فوشيريل لا يمكن أن يكون نطق باسمى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، وأن أبناء العم الثلاثة لئام وأوغاد بناء على ذلك .

– وترد اليهم تهمة القتل ، أليس كذلك ؟ .

– أوه ، هذا مجرد افتراض .

– ومع ذلك ، فان الأم دنيز ، وهى امرأة مسنة تجمع الحطب ، تقول إنها

كانت تتحدث مع أبناء العم الثلاثة فى اللحظة التى ارتكبت فيها الجريمة .

– كانت تتحدث مع اثنين منهم ، فأين كان الثالث ؟

– كان واقفاً خلفها .

– وهل رأته ؟

– انها تظن ذلك . ولكنها ليست متأكدة .

– من الذى يثبت لك اذن ياسيدى القاضي أن ابن العم الثالث لم يكن واقفا وراءها ، وأنه هو الذى ارتكب الجريمة ؟ ومن الذى يثبت لك أن الأثنين الآخرين لم يثبا فوق السور لنجدة القتيل وإنما لكتم صوته والاجهاز عليه .

– اذا كان الأمر كذلك فما الذى يحملهم على اتهامك أنت بالذات ؟

– اننى أملك أرضا صغيرة للصيد ، وأبناء العم جودو لصوص صيد متمرسون ، وقد ألقى القبض عليهم مرتين متلبسين واليوم ينتقمون منى بتوجيه الاتهام الى حتى لايتهمهم أحد بارتكاب تلك الجريمة .

– هذا مجرد افتراض منك ، ولكن لماذا يقتلونه ؟

– لا أدرى .

– ألا يمكن أن تعرف ما الذى سرق من هذا الدرج ؟

– كلا ياسيدى القاضى .. ان صديقى فوشيريل ، وهو لم يكن ثرياً كما يقال ، قد أودع مدخراته فى أحد البنوك ، ولم يكن يحتفظ بشئ لديه .

– ألم يكن يحتفظ بأى شئ ثمين ؟

– كلا .

– وكتبه ؟

– ليس لها أية قيمة ، كما يمكن أن تتأكد من ذلك أنت بنفسك .. وكان يندم على ذلك ، فقد كان يود لو أن يكون لديه بعض الكتب النادرة والمجلدات القديمة .. ولكن لم تكن موارده تسمح له بذلك .

– ألم يحدثك قط عن أبناء العم جودو ؟

– أبداً .. ورغم رغبتي الشديدة في الانتقام لموت صديقي المسكين ، فلا أريد أن أقول شيئاً قد يبعد عن الحقيقة .

واستمر الاستجواب .. وضيق قاضي التحقيق علي أولاد العم الثلاثة في الأسئلة .. ولكن المواجهة لم تأت بأية نتيجة .. وبعد أن أوضح رجال التحقيق بعض النقاط ، انتقلوا الى فونتين .

كان بيت مسيو ليبوك يقع في أطراف المدينة ، ولم يكن بأكثر أهمية "من الكوخ" ، ويحيط بالحديقة سور مرتفع .. ومن خلال القضبان الحديدية للباب العمومي يرى المرء ، بعد بقعة مستديرة من الأرض الخضراء بيتا من الطوب ، مطلياً باللون الأبيض ، وبينه وبين الباب العمومي من خمسة عشر الى عشرين متراً تماما كالكوخ .

وطلب قاضي التحقيق من مسيو ليبوك أن يجلس في نفس المكان الذى كان يجلس فيه في يوم الجريمة ، فجلس أمام نافذته ، وفوق ركبتيه كتاب ، وغليونه بين شفتيه .

لم يكن في هذه الناحية أيضا أى خطأ ممكن ، فان كل عابر يمر أمام الباب ويلقى نظرة إليه لم يكن يسعه إلا أن يرى مسيو ليبوك بكل وضوح . واكد الفلاحون الخمسة أقوالهم بحيث ان وجود مسيو ليبوك في بيته ما بين الظهر والساعة الرابعة لا يمكن أن يرقى إليه أى شك ، كوجوده بالذات أمام قاضي التحقيق في هذه اللحظة .. وقد أعرب رجال البوليس عن حيرتهم

أمام وكيل النيابة وقاضى التحقيق .. وانتهز بيشو الفرصة وقدم لهذا الأخير صديقه بارنيت علي أنه مخبر سرى على قدر كبير من الذكاء والموهبة . ونظر قاضى التحقيق إليه ملياً ثم قال :

– هذه قضية معقدة أيها السيد ، فما رأيك ؟

وقال بيشو وهو يأتى بحركة يذكره بها بأن يكون مجاملاً :

– نعم ، ما رأيك ؟

وكان جيم بارنيت قد اشترك فى التحقيق دون ان ينطق بكلمة واحدة . وقد سأله بيشو اكثر من مرة ، ولكنه كان يكتفى بهز رأسه ويتمتم ببضع كلمات غير مفهومة ، وأجاب فى رفق :

– هى معقدة جداً فى الواقع ياسيدى القاضى .

– أليس كذلك ؟ والواقع أن كفتى الميزان متعادلتان بين المتهمين ، فهناك ، من ناحية الدليل القاطع بأن مسيو ليبوك لم يبرح بيته فى أصيل ذلك اليوم ، ثم ان قصة ابناء العم الثلاثة تبدو من غير شائبة ، من ناحية أخرى .

– من غير شائبة حقاً . فعلى اليمين أو على اليسار هناك بالتأكيد مؤامرة ومهزلة ولكن أهما من ناحية اليمين أم من ناحية اليسار .. أتكون البراءة فى جانب أبناء العم الثلاثة ، اللصوص الأشرار ، ذوى الوجوه الشرسة الضارية ، أو يكون الجانى هو مسيو ليبوك البشوش المتورد الوجه والهادئ الرزين .. ام يجب التسليم بأن وجوه كل المتهمين مطابقة للدور الذين قاموا به فيكون مسيو ليبوك بريئاً وأبناء العم جودو الثلاثة هم الجناة ؟

قال مسيو فورميرى فى ارتياح :

– صفوة القول انك لم تحرز أى تقدم مثلنا .

قال بارنيت فى توكيد :

– بل الواقع اننى أحرزت تقدماً كبيراً .

عض قاضى التحقيق شفتيه وقال :

– أطلعنا اذن على ماتوصلت اليه .

– لن أتردد فى ذلك فى الوقت المناسب .. وانني أطلب منك اليوم ياسيدى القاضى ان تستدعى شاهداً جديدا فقط .

– شاهد جديد ؟

– نعم .

سأله مسيو فورميرى وهو شديد الحيرة :

– وما اسمه ؟ .. وما عنوانه ؟

– لا أعرفه .

– ايه .. ماذا تقول ؟

بدأ مسيو فورميرى يتساءل ان لم يكن المخبر السرى الذكى والموهوب يسخر منه .. وأحس بيشو بالقلق .. وأخيراً انحنى جيم بارنيت نحو مسيو فورميرى وأشار بأصبعه الى مسيو ليبوك ، وكان يقف بعيداً عنهم ويدخن غليونه فى هدوء ، وأسر إليه قائلاً :

– فى الجيب السرى لمحفظة مسيو ليبوك بطاقة من بطاقات الزيارة ، بها أربعة ثقوب وعليها اسم الشاهد وعنوانه .

ولم يتردد المفتش بيشو وبدون إبداء اية حجة حصل علي محفظة مسيو

ليبوك وفتحها ، وأخرج منها بطاقة بها أربعة ثقوب متباعدة ، وبها هذا الاسم : الأنسة اليزابيث لوفنديل ، وعنوانها مكتوب بالقلم الأزرق " فندق فندوم "، بباريس .

نظر قاضي التحقيق ووكيل النيابة الى بارنيت في دهشة .. وتألق وجه بيشو فى حين صاح مسيو ليبوك بدون أى انزعاج :

يا الهى ! .. لكم بحثت عن هذه البطاقة ، وبحث عنها صديقى المسكين فوشيريل .

- ولماذا كان يبحث عنها ؟

- آه . الحق أننى لا أدرى يا سيدى القاضى .. لعله كان بحاجة الى العنوان المكتوب عليها .

- وهذه الثقوب الأربعة ؟

- هى أربعة ثقوب أحدثتها بمثقاب لكى أشير الى النقاط الأربع فى لعبة الايكارتيه ، وهى لعبة من ألعاب الورق كما تعرفون .

وقد ربحت فيها أربع نقاط واضطررنا الى تأجيل بقية اللعبة، فثقبت البطاقة لكى أتذكر المواضع الأربعة عندما نستأنف اللعب من جديد .. ولا ريب اننى وضعت هذه البطاقة فى محفظتى سهوا منى .

كان التفسير يبدو معقولاً تماماً ، وطبيعياً .. وقبله مسيو فورميرى بحماس ، ولكن بقيت هناك نقطة ، وهى كيف استطاع جيم بارنيت ان يخمن وجود هذه البطاقة فى الجيب السرى بمحفظة رجل لم يسبق له أن رآه من قبل !

لم يوضح بارنيت هذه النقطة أبدا . وانما ابتسم في رفق ، وطلب فى

إصرار إستدعاء اليزابيث لوفنديل .. واستجابوا لطلبه.

* * *

لم تكن الآنسة لوفنديل موجودة فى باريس ، ولم تأت إلا بعد ثمانية أيام ولم يتقدم التحقيق خلال ذلك الاسبوع ، رغم ان مسيو فورميرى تابع أبحاثه بإصرار تسبب فيه جيم بارنيت .. وقال المفتش بيشو لهذا الأخير ، بعد ظهر ذلك اليوم ، وهم مجتمعون فى الكوخ :

- انك أثرت سخطه بحيث أنه قرر أن يرفض معونتك .

- هل يجب أن أنسحب ؟

- كلا ، فهناك جديد .

- فى أى معنى ؟

- أعتقد أنه اتخذ قرارا .

- هذا أفضل .. لاريب انه اتخذ القرار الخاطئ .. سوف نلهو .

- أرجوك يابارنيت .. شئ من الاحترام .

- شئ من الاحترام واللامبالاة .. أعدك بذلك يا بيشو .. ان مكتب بارنيت يعمل بالمجان .. ولكننى أؤكد لك أن صاحبك مسيو فورميرى يثير أعصابى .

كان السيد ليبوك ينتظر منذ نصف ساعة . وهبطت الآنسة لوفنديل من لسيارة ، ثم أقبل مسيو فورميرى وكله نشاط وحماس وهتف يقول على الفور :

- صباح الخير يا مسيو بارنيت . هل تأتينا بأنباء جديدة ؟

– ربما ياسيدى القاضى .

– حسنا . وأنا أيضاً لدى أنباء .. ولكن يجب أن نفرغ أولاً من شاهدتك وبأسرع ما يمكن ، فهى لن تأتينا بأية فائدة ، وكل هذا مضيعة للوقت .

كانت اليزابيث لوفنديل فتاة متقدمة فى السن ، وخط المشيب شعرها تدل ثيابها على أنها لا تهتم بمظهرها وتتكلم الفرنسية كما لو كانت فرنسية المولد ، ولكن بذلاقة بحيث يجد المستمع إليها صعوبة فى فهم ما تقول .

وما أن دخلت حتى أسرعت تقول دون أية مقدمات :

– مسكين مسيو فوشيريل .. قتل .. رجل طيب جداً ، وغريب الأطوار . تريد أن تعرف اذن اذا كنت أعرفه .. ليس كثيرا .. التقيت به مرة واحدة فقط .. أتيت لأعقد معه صفقة .. أردت أن أشترى منه شيئاً ، ولم نتفق على الثمن ، وكان يجب أن أراه بعد أن أستشير أخوتى ، وهم أناس معروفون ، وأصحاب محلات مشهورة للبدالة فى لندن .

حاول مسيو فورميرى أن يوقف هذا السيل الجارف من الكلمات فقال :

– وما الذى كنت تريدين شراءه يا آنسة ؟

– ورقة صغيرة .. صغيرة جداً ، وقديمة ومصفرة بحيث تبدو كورقة من أوراق البصل .

– وهل لها قيمة ؟

– قيمة كبيرة بالنسبة لى .. وقد أخطأت إذ قلت له ذلك .. ولك أن تعلم ياعزيزى مسيو فورميرى أن أم جدتى ، دوروتى الجميلة قد عشقها الملك جورج الرابع بنفسه ، وانها احتفظت برسائل الحب الثمانى عشرة التى تلقتها منه فى ثمانية عشر مجلداً من كتاب طبعه ريشاردسون ، رسالة فى

كل كتاب . وعند موتها وجدت أسرتنا المجلدات فيما عدا المجلد الرابع عشر الذى اختفى وفيهالرسالة الرابعة عشرة ، وهى اكثر الرسائل أهمية لأنها تثبت أن دوروتى الجميلة قد أخلت بواجبها قبل مولد ابنها الأكبر بتسعة شهور . وانك لتفهم الآن أيها الطبيب مسيو فورميرى مبلغ سعادتنا بالعثور على تلك الرسالة ، فانها تثبت اننا من سلالة الملك جورج ، ابن عم الملك الحالى ، وتتيح لنا المجد والألقاب .

وتنهدت اليزابيث لوفنديل ، واستطردت فى سرد محاولتها مع مسيو فوشيريل :

– ثم أننا بعد ثلاثين سنة من البحث والاعلانات علمنا أيها الطبيب مسيو فوشيريل أن بعض الكتب بيعت فى أحد المزادات العلنية من بينها المجلد الرابع عشر من كتاب ريشاردسون .. وأسرعت الى الشارى ، وهو صاحب مكتبة على رصيف فولتير ، فأحالنى إليك لأنه باعك المجلد المذكور أمس .

وقال لى مسيو فوشيريل الطبيب :

– هذا صحيح .. وأرانى الكتاب فقلت له :

– ستجد الرسالة الرابعة عشرة فيه ، تحت الغلاف .

وفحص الكتاب فاصفر لونه وقال :

– كم تدفعين ثمناً لها .

رأيت عندئذ أننى كنت حمقاء ، فلو لم أتكلم عن الرسالة لاستطعت الحصول على الكتاب مقابل خمسين فرنكا .. وعرضت عليه ألفاً فراح يرتجف وطلب عشرة آلاف ، فقبلت ، ولكنه فقد عقله ، وفقدت عقلى أنا الأخرى ، كما يحدث فى المزاد فقال عشرين ألفاً ثم ثلاثين وأخيراً طالب

بخمسين ألفاً ، وصاح يقول فى جنون وقد جحظت عيناه خمسين ألفاً .. لا تنقص صلدياً واحداً ، وبذلك استطيع ان أشترى كل الكتب التى أريدها .. خمسين ألف فرنك .

وأراد دفعة على الحساب على الفور ، شيكا .. فوعدته بأن أعود فالقى بالكتاب فى درج هذا المكتب وأغلقه بالمفتاح وتركنى أنصرف .

وأتمت اليزابيث لوفنديل قصتها ببضع نقاط لا جدوى منها لم يهتم بها أحد .. وكان هناك شىء لفت اهتمام جيم بارنيت والمفتش بيشو ، وهو أن مسيو فورميرى توترت ملامحه ، وكان واضحاً أنه أصبح يشعربانفعال كبير ويفرحة غامرة .. وهمس أخيراً فى صوت أصم وفى عجرفة كبيرة :

– أفهم من هذا يا آنسة أنك تنشدين المجلد الرابع عشر من الكتاب .

صاحت الانجليزية فى حماس كبير :

– هل هذا ممكن .

– ها هو . ولكن رسالة غرام الملك جورج لا توجد به ، والا لوجدتها . ولكننى سوف أعثر عليها لأننى اهتديت الى الكتاب الذى تبحثون عنه منذ مائة سنة ما دام سارق الكتاب لابد أن يكون سارق الرسالة فى نفس الوقت

وراح مسيو فورميرى يمشى جيئة وذهابا بعض الوقت ويداه خلف ظهره وهو يتذوق انتصاره المسبق . وفجأة ربت بأصابعه على المكتب فى رفق وقال :

– اننا نعرف أخيراً الدافع الى القتل .. كان هناك من يصغى الى حديث الآنسة لوفنديل ومسيو فوشيريل ، ورأى هذا الأخير وهو يضع الكتاب فى الدرج . وبعد بضعة أيام قام ذلك الرجل بجريمة القتل للحصول على الكتاب

ولكى يبيع فيما بعد الرسالة رقم ١٤ .. فمن كان ذلك الرجل ؟ كان واحداً من ابناء العم جوبو .. وقد كنت أشك دائماً فى ان الجانى واحداً منهم . واثناء تفتيشى بيتهم أمس لاحظت فجوة بين أحجار المدفأة ، فوسعتها ووجدت فيها كتابا كان من الواضح أنه أحد كتب فوشيريل .. والمعلومات التى قدمتها لنا الآنسة لوفنديل والتى لم نكن نتوقعها تؤكد اشتباهى تماماً . سأصدر الآن أمراً بالقاء القبض على أبناء العم الثلاثة بتهمة قتل وسرقة مسيو فوشيريل واتهام مسيو ليبوك .

ومد يده الى مسيو ليبوك فى زهو واحترام ، فأفاض هذا الأخير فى شكره .. ثم اصطحب الآنسة لوفنديل الى سيارتها بكل رفق ، وعاد بعد ذلك الى الآخرين وهتف يقول :

– أظن أن هذه القضية ستثير ضجة كبيرة ، وستتيح لمسيو فورميرى الطموح الانتقال الى باريس .

وبدأوا المسيرة نحو بيت أبناء العم جوبو حيث أصدر القاضى أمره بالقاء القبض عليهم .. وكان الجو صحواً . وراح مسيو فورميرى يتقدم ، يحيط به مسيو ليبوك وبيشو وجيم بارنيت ، وقد ترك العنان لابتهاجه وزهوه وقال فى صوت ساخر :

– أرأيت يا عزيزى بارنيت . سارت القضية على أحسن ما يكون ، وبطريقة مخالفة لتوقعاتك ، لأنك كنت والحق معادياً لمسيو ليبوك .

قال بارنيت :

الحق اننى اعترف ياسيدى القاضى بأن تلك البطاقة اللعينة قد خدعتنى تصور أنها كانت موجودة فوق أرضية غرفة مسيو فوشيريل عندما واجهنا

مسيو ليبوك ، وان السيد ليبوك اقترب منها ووضع قدمه اليمنى فوقها بكل بساطة . وعندما انصرف ، انصرف بها وهى ملصقة بحذائه ، وانتزعها فى الخارج ووضعها فى محفظته .. وبعد ان انصرف لاحظت ان كعب حذائه ترك فى الأرض آثار أربعة ثقوب متباعدة ، وان السيد ليبوك أدرك انه نسى تلك البطاقة فوق الأرض ، ولم يشأ أن نعرف اسم وعنوان اليزابيث لوفنديل والواقع ان الفضل يرجع الى تلك البطاقة فى ..

انفجر مسيو فورميرى ضاحكاً وقال :

ولكن هذه أمور صبيانية يا عزيزى بارنيت ، ويالها من تعقيدات لا جدوى منها . وكيف أمكن ان تضل هكذا ؟ ان أول مبدأ من مبادئى يا بارنيت هو أن أتجنب المتاعب ، وان اكتفى بالحقائق التى نجدها أمامنا دون أن أحاول تطبيقها بأى شكل على أفكار مسبقة .

وكانوا يقتربون من بيت مسيو ليبوك ، فى طريقهم الى بيت أبناء العم جوبو . وأمسك مسيو فورميرى بذراع بارنيت واستطرد فى حديثه الودى عن الوسائل البوليسية .

– ان خطاك الوحيد يا بارنيت هو أنك لم تسلم بتلك الحقيقة البسيطة . وهى عدم إمكان وجود نفس الشخص فى مكانين مختلفين فى نفس الوقت . كل الحقيقة هنا ، فان مسيو ليبوك ، وهو جالس يدخن أمام نافذته لا يمكن ان يقتل فى نفس الوقت مسيو فوشيريل فى بيته .. انظر .. ان مسيو ليبوك يسير خلفنا ، أليس كذلك ؟ وها هو الباب الحديدى العمومى لبيته على بعد عشرة أمتار منا .. حسنا .. ان من المستحيل تصور معجزة بحيث يمكن أن يكون مسيو ليبوك خلفنا الآن وان يكون جالساً فى نفس الوقت أمام نافذته .

ولكن مسيو فورميرى توقف مذهولا ، واطلق صيحة دهشة .. فسأله بيشو

– ما الخبر ؟

أشار فورميرى بيده الى البيت وقال :

– هناك ... هناك .

رأى من خلال القضبان الحديدية للباب ، على بعد عشرين مترا أمام نافذة البيت .. مسيو ليبوك .. مسيو ليبوك ، مع أنه كان فى نفس الوقت واقفاً معهم على الرصيف .

رؤيا مخيفة ، تثير الهلع .. شبح مخيف .. وتشابه غريب فمن ذلك الرجل الذى يقوم هناك بدور السيد ليبوك الذى يمسك مسيو فورميرى بذراعه .

فتح بيشو الباب ، وراح يركض . وانطلق مسيو فورميرى هو الآخر نحو الصورة الشيطانية للسيد ليبوك وهو يناديه ويهدده .. ولكن بدا ان الصورة لم تتأثر أو تتحرك .. وكيف تتأثر أو تتحرك مادامت لا تزيد عن لوحة من القماش كما تحققوا منها بأنفسهم ! لوحة فى إطار النافذة .. صورة بالحجم الطبيعى لمسيو ليبوك وهو جالس يقرأ ويدخن ، تماما كلوحة مسيو فوشيريل .

واستدار مسيو فورميرى .. كان مسيو ليبوك البشوش المتورد الوجه يقف وراءه .. ولم يكن قد استطاع الصمود أمام تلك الضربة المفاجئة فانهار ، كما لو أن مطرقة قد أصابته على أم رأسه ، وراح يبكى فى غباء ويقول :

– فقدت عقلى .. وضربته دون إرادة منى .. أردت أن يقاسمنى المبلغ ولكنه رفض .. وعندئذ فقدت عقلى .. وطعنته على غير ارادتى .

وسكت .. وخلال الصمت الذى تبع ذلك دوى صوت جيم بارنيت ، حاداً

وقاسياً وساخراً ، وهو يقول :

– ما رأيك أنت الآن ياسيدى القاضى ؟ أنه لعصفور جميل هذا الرجل ! لقد أعد خطته بكل مهارة بحيث يستطيع ان يثبت انه كان بعيداً عن مكان الجريمة ، اذ كيف يخطر لمن يمر أمام بيته ويرى صورته من النافذة أنه ليس ليبوك وانما صورة له بالحجم الطبيعى .. اننى ارتبت فى أمره منذ أول يوم ، وعندما رأيت صورة فوشيريل .. أفلا يمكن أن يكون نفس الرسام قد رسم صورة للسيد ليبوك هو الآخر ؟ لقد بحثت ولم يطل بحثى لأن ليبوك كان واثقاً من إننا من الغباء بحيث لا يمكن ان نهتدى الى الحقيقة .. ووجدت الصورة ملفوفة فى المخزن تحت أكداس من الأدوات المهملة .. وكان من السهل على أن أضعها أمام النافذة منذ قليل بينما كان يمضى للقائك .. وهكذا ترى أنه يستطيع ان يكون فى "الكوخ "وأن يجلس أمام نافذته ويدخن غليونه فى نفس الوقت .

وكان جيم بارنيت عنيفاً ، وصوته الحاد يقطع المسكين فورميريه تقطيعاً .

– ترى ، ماذا عساه ارتكب فى حياته من عمل شريف .. وما أجمل حيلته فى استيلائه علي بطاقة الآنسة لوفنديل بواسطة كعب حذائه .. ثم ذلك الكتاب الذى دسه بعد ظهر اليوم فى مدخنة آل جودو .. وكنت أتبعه عن كثب والخطاب الذى أرسله إليك من غير توقيع والذى جعلك تنقض على بيتهم . يالخبثك يامسيو ليبوك .. انك أضحكتنى كثيرا بوجهك البشوش النظيف.. قبحك الله !

امتقع مسيو فورميرى . وبذل جهدا كبيراً لكى يتمالك نفسه ونظر الى ليبوك ملياً ثم قال أخيراً :

- لايدهشنى هذا .. نظرة زائفة ووجه مجامل .. يالك من وغد .

واستطرد يقول وقد عصف به الغضب فجأة :

- نعم ، وغد ، وسأمضى بك من أقصر طريق .. ولكن الى بالرسالة أولا الرسالة رقم ١٤ . أين هى ؟

تمتم ليبوك وهو لا يستطيع المقاومة :

- فى جوف الغليون المعلق لصق الحائط بالغرفة التى إلى اليسار .. لم أفرغ الرماد من هذا الغليون والرسالة موجودة بداخله .

أسرعوا بالدخول الى الغرفة .. ووجد بيشو الغليون ، وأفرغ الرماد منه ولكنه لم يجد أى شئ بداخله .. لم تكن هناك أية رسالة ، الأمر الذى أثار دهشة واضطراب السيد ليبوك ، وضاعف من غضب مسيو فورميرى بحيث صاح :

- كذاب ومحتال ونصاب وقاتل .. آه ، تأكد انك سوف تتكلم غدا أيها الوغد ، وانك سوف تعيد إلى هذه الرسالة .

ولكن عينى بيشو التقتا بعينى بارنيت فى هذه اللحظة ، وكان هذا الأخير يبتسم .. وضغط بيشو على قبضتيه فى عنف وقد فهم الان ان لمكتب بارنيت وشركاه طريقة خاصة للتعامل مجاناً .. وعرف كيف يستطيع جيم بارنيت أن يعيش عيشة مترفة رغم انه لا يطالب عملاءه بأى صلدى نظير خدماته .

واقترب منه وهمس :

- إنك لقدير حقاً ، وان عملك هذا لجدير بأرسين لوبين .

قال بارنيت فى سذاجة :

- ماذا ؟

- اعنى استيلاءك على الرسالة خلسة من الجميع .

- آه ، هل خمنت ذلك ؟

- طبعاً .

- ماذا تريد .. اننى أجمع خطوط ملوك فرنسا .

* * *

بعد ثلاثة شهور من ذلك استقبلت اليزابيث لوفنديل جنتلمانا وجيها جدا قال لها انه يستطيع أن يأتيها برسالة غرام الملك جورج الرابع نظير مبلغ زهيد مائة ألف فرنك !

وكانت المفاوضات شاقة ، واستشارت اليزابيث اخوتها وهم أكبر تجار البقالة فى لندن ، فما طلوا فى البداية ورفضوا ثم وافقوا أخيراً .

وقبض الجنتلمان الوجيه المائة ألف فرنك ، واستولى فى نفس الوقت على شاحنة حافلة بأنواع البقالة .. ولم يدر أحد كيف تمكن من الاستيلاء عليها

* * *

٣ لعبة الباكارا

عندما خرج جيم بارنيت من المحطة كان المفتش بيشو ينتظره، وأخذه هذا الأخير من ذراعه وهو يقول :

– أسرع . لايجب إضاعة دقيقة واحدة ، فقد يتفاقم الموقف ما بين لحظة وأخرى .. قال جيم بارنيت في شئ من المنطق :

– يخيل الى أن الضرر يكون أعظم لو أنني عرفت ما هو الموقف ، فقد أتيت بناء على برقيتك ومن غير أن أعرف أية معلومات .

قال المفتش :

– هكذا أردت .

– اذن فانت لم تعد تتوخى الحذر منى يا بيشو .

– بل انني أتوخى الحذر منك دائما يابارنيت ، ومن وسائلك في تسوية أمورك مع عملاء مكتب بارنيت .. ولكنك في هذه المناسبة لن تحصل على شئ ياعزيزي ، فلأول مرة سوف تعمل بالمجان حقا .

وراح جي بارنيت يصفر ، وقد بدا أن هذا الاحتمال لم يزعجه .. ونظر بيشو إليه شذراً وقد استولى عليه القلق فجأة ، وكأنه يريد أن يقول له .. لو

أننى أستطيع الاستغناء عن خدماتك ياصاحبى .

وبلغا الساحة .. وكانت هناك سيارة تنتظر ، رأى بارنيت فيها سيدة جالسة يبدو الحزن على وجهها ، وقد اغرورقت عيناها بالدموع ، وشفتاها متوترتان من فرط القلق .. وفتحت الباب على الفور ، وقام بيشو بواجب التعارف فقال :

– جيم بارنيت ياسيدتى ، وهو الرجل الوحيد الذى ، كما قلت لك فى مقدوره أن يساعدك .. السيدة فوجيريه ، زوجة المهندس فوجيريه الذى يوشك أن يواجه بتهمة .

– أى تهمة ؟

– تهمة القتل .

صفق جيم بارنيت بلسانه بين شفتيه ، فقال بيشو فى استياء :

– أرجو أن تلتمس العذر لصديقى بارنيت ياسيدتى ، فكلما بدت له القضية خطيرة كلما أحس بالارتياح .

وكانت السيارة قد انطلقت نحو أرصفة روين ، وانعطفت الى اليسار وتوقفت أمام بيت كبير يشغل الطابق الثالث منه النادى النورماندى .. وقال بيشو :

– هنا يجتمع كبار التجار ورجال الصناعة بروين والأماكن المجاورة ، لقراءة الجرائد ولعب البريدج أو البوكر ، وعلى الخصوص يوم الجمعة لأنه يوم البورصة .. وحيث أنه لايوجد فى ساعة الظهيرة هذه غير الخادمات فسأستطيع أن أروى لك ماحدث فى هدوء .

كانت هناك ثلاث قاعات كبيرة بطول الواجهة ، مزودة بالأثاث والرياش

والسجاجيد الفاخرة ، وتتصل بالقاعة الثالثة منها غرفة صغيرة على هيئة قبة تؤدى نافذتها الوحيدة الى شرفة كبيرة تطل على أرصفة نهر السين .

وجلسوا ثلاثتهم ، ومدام فوجيريه على مبعدة .. وقال بيشو :

– منذ بضعة أسابيع اثن ، في يوم جمعة ، بعد أن تناول أربعة من أعضاء النادى العشاء راحوا يلعبون البوكر . كانوا أربعة أصدقاء .. من كبار رجال صناعة النسيج بماروم ، وهى مركز مصانع الغزل والنسيج ، على مقربة من ردين .. ثلاثة منهم متزوجون ولهم أولاد وحاصلون على أوسمة وهم ألفريد أوفار ، وراوول دوبان ، ولويس باتينيه ، أما الرابع فأعزب وأصغر سناً ويدعى مكسيم توبلييه .. وفى نحو منتصف الليل انضم إليهم شاب آخر يدعى بول إرستين ، وهو ثرى وتدر عليه ثروته إيراداً كبيراً يسمح له بأن يعيش عاطلاً بدون عمل .. وكانت القاعات قد بدأت تخلو من روادها شيئا فشيئا ، فبدأ الخمسة يلعبون الباكارا .. وكان بول ارستين معروفاً بغرامه وبراعته فى هذه اللعبة فقام بتوزيع الورق .

وأشار بيشو الى إحدى النوافذ وقال :

– كانوا يلعبون هنا ، على هذه المنضدة .. وكان اللعب هادئا جداً فى البداية ، عادياً وبدون اهتمام كبير ، ولكنه لم يلبث أن اشتد واحتد شيئا فشيئا عندما أمر بول ارستين أن يأتوهم بزجاجتين من الشمبانيا .. وبدءاً من تلك اللحظة بالذات انقلب الحظ من صالح بول .. حظ عجيب غير عادل مثير ومحنق .. كان بول ارستين يربح من كل دور فى حين يخسر الباقون الذين استولى عليهم الغيظ فراحوا يضاعفون المراهنات .. وليس هناك أى جدوى من أن أسهب فى هذه الناحية ، فقد كانت نتيجة ذلك الغيظ أن رجال الصناعة الأربعة خسروا كل مامعهم فى الساعة الرابعة صباحا ، خاصة

وانهم كانوا قد جاءوا بأموالهم لدفع أجور عمالهم ، وكان مكسيم توليييه قد أصبح مديناً دين شرف لبول ارستين بمبلغ ثمانين ألف فرنك فوق خسارته .

وأخذ بيشو نفساً طويلاً ثم استأنف قصته فقال :

- وفجأة وقع أمر مفاجئ .. أمر مفاجئ حقاً ، ويجب أن أعترف بذلك ، سهله بول ارستين بمجاملته المفرطة ونزاهته ، فقد قسم المبلغ الاجمالى لأرباحه الى أربعة أقسام مطابقة لخسائر زملائه ، ثم قسم كل قسم من هذه الأقسام الأربعة الى ثلاثة أقسام أخرى وعرض عليهم ان يلعبوا الأدوار الثلاثة الأخيرة .. وخسر بول ارستين فى المرات الثلاث ، وقد انقلب حظه . وبعد ليلة من النضال لم يكن هناك رابح أو خاسر . ونهض بول ارستين وهو يقول :

- هذا أفضل .. فقد شعرت بالخجل شيئا ما . ولكن سحقا ان بى صراعاً شديداً .. ألا يريد أحد أن يأتى ويدخن سيجاراً معى .

ومضى إلى الغرفة الصغيرة .. وانقضت بضع دقائق ، بقى الأصدقاء الأربعة خلالها يتحدثون فى مرح عن مراحل اللعبة التى انتهت ، ثم قرروا الرحيل واجتازوا القاعة الثانية ثم الأولى وقالوا للخادم الذى يقوم بالحراسة والذى كان يغفو فى البهو :

- لايزال مسيو ارستين هنا ياجوزيف ، وسوف ينصرف بعد قليل .

ثم خرجوا ، كانت الساعة قد بلغت الرابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين . وكانت سيارة الفريد أوفار فى الانتظار فعادت بهم الي ماروم ، كما يحدث كل يوم جمعة .. وانتظر جوزيف ، الخادم ساعة ، ثم أحس بالتعب من نوبته الليلية فمضى الى بول ارستين ووجده جثة هامدة ، فى الغرفة الصغيرة .

وتوقف المفتش عن حديثه مرة ثانية .. وكانت مدام فوجيريه قد ظلت حتى هذه اللحظة مطرقة برأسها الى الأرض .. ومضى جيم بارنيت مع المفتش الى الغرفة الصغيرة المنعزلة ، وفحصها ، ثم سأل :

– وعلام تستند هذه القصة ؟

– على الايضاحات التى أدلى بها الرجال الأربعة الذين كانوا هنا .

– ألا يمكن أن يكونوا قد أخطأوا ؟

– كلا .. ان أقوالهم متطابقة تماماً .. وهم من رجال الصناعة المعروفين رجال متزنون ، يعرفون ما يقولون ويزنون أقوالهم جيداً .

– حسناً .. والآن الي الهدف فوراً يابيشو . ماذا أسفر عنه التحقيق ؟

أجاب بيشو :

تبين أن بول ارستين تلقى ضربة عنيفة على صدغه من آله حادة صرعته على الفور .. لم يكن هناك أى أثر للمقاومة فيما عدا أن ساعة بول ارستين تحطمت عند الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والخمسين ، أى بعد عشرين دقيقة من انصراف اللاعبين .. لم يكن هناك أى أثر يدل على السرقة ، فالخاتم والأوراق المالية كانت موجودة .. ولا أثر للقاتل الذى لم يستطع الدخول او الخروج من البهو لأن جوزيف لم يغادر مكانه .

قال بارنيت : لايوجد أى أثر إذن ؟

تردد بيشو ثم قال :

– بل هناك أثر صغير وخطير جداً ، ففى أصيل اليوم أشار أحد زملائى لقاضى التحقيق أن شرفة هذه الغرفة تقع على مسافة منخفضة جداً من شرفة بالطابق الثالث لبيت مجاور .. وانتقلت النيابة الى ذلك البيت ، ويقيم

فى الطابق الثالث منه مهندس يدعى فوجيريه وكان متغيباً منذ الصباح . وقادت مدام فوجيريه رجال التحقيق الى غرفة زوجها . واتضح أن شرفة تلك الغرفة مجاورة للغرفة الصغيرة بالنادى .. ويمكنك ان ترى ذلك بنفسك يابارنيت .

اقترب بارنيت وقال :

– متر وعشرون سنتيمتراً تقريباً .. من السهل عبوره .. ولكن لاشئ يثبت أن ذلك حدث .

قال بيشو :

بل هناك شئ .. فبطول الدرابزين صناديق من الخشب معدة لوضع الزهور ومازالت تحتفظ بترابها منذ الصيف الماضى . وبتفتيشها عثر فى أحدها ، وهو أقربها ، تحت طبقة خفيفة من التراب على قبضة أمريكية . وقد تحقق الطبيب الشرعى أن إصابة القتيل مطابقة تماماً لشكل تلك القبضة ، ولم يكن عليها أى أثر لبصمات لأن المطر لم يكف عن الهطول منذ الصباح .. ولكن التهمة تبدو دامغة ، فان المهندس فوجيريه رأى بول ارستين فى الغرفة المضاءة فاجتاز الشرفة وارتكب جريمته ثم اخفى أداة الجريمة .

– ولكن لماذا يرتكب هذه الجريمة ؟ هل كان يعرف بول ارستين؟

– كلا .

– اذن ؟

ابدى بيشو اشارة من يده ، وكانت مدام فوجيريه قد اقتربت وراحت تصغى الى أسئلة بارنيت .. وكان يبدو أنها تبذل جهداً كبيراً لكى تتغلب

على دموعها ، وأنها تعانى من فرط السهر .. وقالت فى صوت مختلج :

– أنا التى سأرد على سؤالك أيها السيد ، وسأفعل ذلك فى بضع كلمات وبصراحة تامة ، وسوف تفهم دون أية مشقة .. كلا .. لم يكن زوجي يعرف بول أرستين ، ولكننى كنت أعرفه .. التقيت به مراراً فى باريس ، عند إحدى صديقاتى ، وقد غازلنى على الفور ، وأنا أشعر نحو زوجي بمحبة كبيرة ولدى شعور عميق بواجباتى كزوجة ، وعلى هذا قاومت الميل الذى شعرت به نحو بول أرستين .. ولكننى رضيت أن أقابله فى مرات مختلفة فى الضواحى وفى الأرياف .

– وهل كتبت اليه ؟

– نعم .

– والخطابات بين أيدى أسرته .

– بل مع أبيه .

– مع أبيه الذى يريد أن ينتقم لابنه بأى ثمن ، ويهددك بأن يسلم تلك الخطابات للبوليس ؟

– نعم .. وهذه الخطابات تثبت طبيعة علاقتنا البريئة ، ولكنها تثبت أيضا أننى كنت ألتقى به على غير علم زوجي ، وأحدها يحتوى على هذه العبارات : أتوسل اليك يابول ان تلتزم جادة العقل فان زوجي شديد الغيرة وعنيف جداً ، واذا ارتاب فى سلوكى فلن يحجم عن شئ .. وهذا الخطاب سوف يعطى للموقف تفسيراً جديداً ، أليس كذلك ؟

فستكون الغيرة هى الدافع الذى يبحث عنه البوليس ، ويفسر الجريمة واكتشاف سلاحها أمام غرفة زوجي بالذات .

– ولكن هل أنت واثقة ياسيدتى أن مسيو فوجيريه لم يكن لديه أى شك ؟

– كل الثقة .

– وبالنسبة لك ، فهو برئ ؟

أسرعت تقول على الفور :

– اوه دون أى شك .

حدق بارنيت فى عينيها ملياً ، وأدرك أن اقتناع تلك المرأة قد أثر علي بيشو الى حد أنه ، رغم الحقائق ، ورغم رأى النيابة، ورغم كتمانه المهنى ، قد صح منه العزم على مساعدتها .

وألقى بارنيت بضعة أسئلة أخرى ، وبعد ان فكر طويلاً قال :

– لا أستطيع أن أعطيك أى أمل ياسيدتى ، فالمنطق يقول ان زوجك مذنب ، ولكننى سأحاول ، مع ذلك ، أن اكذب المنطق.

توسلت المرأة اليه قائلة :

– امض لرؤية زوجى فربما تسمح لك أقواله ..

– لا فائدة من ذلك ياسيدتى . ان معاونتى لك لن يكون لها أى دافع إلا اذا اعتقدت ، منذ البداية ، أن زوجك برئ ، واذا وجهت أبحاثى الى هذه الناحية .

وانتهى الحديث ، وبدأ بارنيت العمل علي الفور ، ومضى برفقة المفتش بيشو الي والد القتيل وقال له دون لف أو دوران :

– مسيو ارستين ، كلفتنى مدام فورجيريه بمساعدتها .. أما زالت لديك النية فى تسليم النيابة الخطابات التى كتبتها لابنك؟

– اليوم بالذات أيها السيد .

– ألا تتردد فى توريط وهلاك المرأة التى أحبها ابنك اكثر من أية امرأة أخرى ؟

– لو ان زوج تلك المرأة قتل ابنى فيؤسفنى ذلك من أجلها .. ولكننى سأنتقم لابنى .

– انتظر خمسة أيام أيها السيد .. سأكشف القناع عن القاتل الحقيقى يوم الثلاثاء القادم .

خمسة أيام استخدمها بارنيت بطريقة أثارت حيرة المفتش بيشو ، فقد قام باجراءات غريبة ، واستجوب وجند الكثيرين من الموظفين الثانويين ، وأنفق الكثير من المال .. ومع ذلك فلم يبد إرتياحاً كبيراً وكان ، خلافا لعادته ، صموتاً وحاد المزاج .

وفى صباح يوم الثلاثاء زار مدام فورجيريه وقال لها :

– استطاع بيشو أن يحصل من النيابة على إعادة تمثيل مراحل تلك الليلة ، ولابد من حضورك وحضور زوجك ، وأرجو ان تلزمى الهدوء مهما يحدث وألا يثيرك أى شئ .

تمتمت :

هل هناك أمل ؟

– أنا نفسى لا أدرى .. اننى اتصرف أنا وبيشو ، كما سبق أن قلت لك ، بناء على اعتقادك .. اعنى ببراءة مسيو فورجيريه سنحاول إثبات هذه البراءة استناداً الى نظرية ممكنة .. ولكن سيكون الأمر شاقاً .. افتراضا على اننى لو وضعت يدى على الحقيقة فيمكن لهذه الحقيقة أن تفلت فى آخر

لحظة ، أليس كذلك يا بيشو ؟

كان وكيل النيابة وقاضى التحقيق من الرجال المدققين الذين يبنون آراءهم على الحقائق الملموسة ، ولا يحاولون تفسيرها بآراء مسبقة .. وقال بيشو :

– اننى أخشى أن تدخل معهما فى نزاع ، وأن تسخر منهما بسهولة يابارنيت فقد منحاني الحرية لكى اتصرف كما يحلو لى .. أو بالأحرى ، كما يحلو لك أنت ، فلاتنس ذلك .

أجابه بارنيت :

أنا لا أبدى اية سخرية أيها المفتش بيشو إلا اذا كنت واثقاً من الانتصار . والحال ليس كذلك اليوم .

* * *

كان هناك أناس كثيرون يزحمون القاعة الثالثة . وراح رجال العدالة يتبادلون الحديث فيما بينهم على عتبة الغرفة الصغيرة بالذات ، حيث دخلوا ثم خرجوا منها بعد لحظات .. ورجال الصناعة الأربعة ينتظرون ، ورجال الشرطة يروحون ويغدون ، ومسيو ارستين والد القتيل يقف وحيداً ، وكذلك الخادم جوزيف .. ووقف مسيو فورجيريه وزوجته فى أحد الأركان ، وكان متجهم الوجه ، تدل ملامحه على القلق .. وكانت هى أشد شحوباً عما كانت فقد أصبح معلوماً أنه قد تقرر القبض على المهندس .

خاطب أحد رجال التحقيق الرجال الأربعة فقال :

– ستقوم النيابة أيها السادة بتمثيل ما حدث مساء يوم الجمعة .. فليتكرم كل منكم بالجلوس حول منضدة الباكارا فى نفس المكان الذى كان

يجلس فيه فى تلك الليلة ، وستقوم أنت يامسيو بيشو بدور الموزع ، فى نفس المكان الذى كان يجلس مسيو بول ارستين فيه . هل طلبت من هؤلاء السادة إحضار نفس عدد الأوراق المالية التى كانت معهم فى ذلك اليوم ؟

أجاب بيشو بالايجاب ، وجلس فى منتصف المنضدة .. وجلس ألفريد اوفار ، وراوول دوبان على يساره ولويس باتينيه ، ومكسيم توليبيه على يمينه وكانت هناك ست مجموعات من أوراق اللعب .. وقطع بيشو الورق وقام بالتوزيع .

وحدث شئ عجيب ، فقد كان الحظ حليف الموزع كما حدث فى ليلة المأساة ، وربح بيشو بكل سهولة ، كما فعل بول أرستين فبينما كان يسحب ورقة ثمانية أو تسعة كانت الخسارة من نصيب الآخرين وظل الأمر كذلك حتى انتهى الدور الأول .

كان هذا الاستمرار يبدو آلياً ، واذا جاز لنا القول ، وبدا كأن هناك شيئاً غامضاً ، مما أثار الحيرة ، خاصة وانه كان تكراراً لحقيقة سبق لهم ان عانوا منها .. وارتبك مكسيم وأخطأ مرتين ، فعيل صبر بارنيت وأخذ مكانه بالقوة ، وجلس على يمين بيشو .

وبعد ست دقائق لأن الأحداث كانت تسير بسرعة ، كانت نصف الأوراق النقدية التى أخرجها اللاعبون الأربعة من محافظهم قد زحمت المفرش الأخضر ، أمام بيشو ، وبدأ مكسيم توليبيه ، بواسطة جيم بارنيت ، يخسر بكلمة شرف .. دائما التكرار الصحيح لما سبق أن حدث .

وتسارع الايقاع ، وبلغ اللعب نهايته القصوى .. وفجأة فعل بيشو كما سبق ان فعل بول ارستين ، فقد قسم أرباحه أربعة أقسام مطابقة لخسارة كل من اللاعبين الأربعة ، ومنحهم فرصة المغامرة بكل شئ .

تابعه الغرماء ببصرهم وقد تأثروا فى الظاهر بذكرى الليلة المفجعة .

ووزع بيشو الورق ثلاث مرات .

وثلاث مرات ، بدلاً من أن يخسر ، كما حدث مع بول ارستين ، وربح بيشو وسرت الدهشة بين الحضور .. لماذا لم يجانب الحظ بيشو كما حدث مع بول ارستين ؟ واذا كان الحظ لم يتخل عن بيشو كما فعل مع بول ارستين ، فهل معنى هذا انه لم يتخل عن بول ارستين فى ليلة المأساة وأنه ظل يربح حتى النهاية ؟ وهل يجب الاعتقاد بأن هذا التحول قد دبره بارنيت وبيشو لكى يبينا كيف تمت اللعبة الحقيقية بين اللاعبين الخمسة ليلة المأساة ؟

ونهض بيشو كما سبق أن نهض بول أرستين ، وطبقا للدور الذى يقوم به وضع فى جيبه رزم النقود الأربع ثم اشتكى من صداع كما فعل بول ارستين ومضى الى الشرفة وهو يشعل سيجارته .

ورأوه من بعيد ، عبر باب الغرفة الصغيرة .

وبقى الأربعة الآخرون جامدين ، لا يتحركون فى مقاعدهم ، متوترى الوجوه .. الأربعة .. أى اوفار ودوبان وباتينيه .. وجيم بارنيت الذى أخذ محل مكسيم توبلييه .

ونهض جيم بارنيت بدوره ، وقد أفلح فى ان يكسب وجهه وسحنته هيئة مكسيم توبلييه الذى أضناه اللعب وأرهقته الخسارة وقام بدوره .. كان مكسيم شاباً فى الثلاثين من العمر ، وذقنه جرداء ويرتدى نظارة ذهبية من نوع العوينات على أنفه ، بادى المرض والقلق .. بدا جيم بارنيت هكذا . وتقدم الى الغرفة الصغيرة فى بطء ، وفى خطوات آلية ، يرتسم على وجهه تارة تعبير قاس وشرس ، وتارة أخرى تردد وخوف .. تعبير رجل قد يقوم

بتنفيذ عمل فظيع ، أو ربما الهرب كجبان قبل أن ينفذ ما ينوى عليه .

لم ير اللاعبون وجهه .. ولكن رآه رجال التحقيق .. وشيعوا بأعينهم جيم بارنيت ، الممثل الذى يخضعون لسلطانه ، ولم يفكروا إلا فى مكسيم تويلييه اللاعب الخاسر الذى يمضى لملاقاة غريمه الرابح ، الذى يمضى لملاقاة بول ارستين ، أى حامل رزم الأوراق النقدية الأربع .. لأى غرض يمضى إليه ؟ كان وجهه يفضح بلبلة ذهنه .. هل سيتوسل أو يأمر أو يهدد ؟ عندما دخل الغرفة الصغيرة كان هادئاً جداً .

وأغلق الباب خلفه .

إعادة تمثيل المأساة .. مأساة وهمية أو حقيقة .. كانت حية ، وانتظر الجميع فى صمت .. وانتظر اللاعبون الثلاثة هم الآخرون وعيونهم معلقة على الباب المغلق الذى يدق خلفه مادار فى ليلة المأساة والذى لم يكن خلفه جيم بارنيت والمفتش بيشو اللذان يقومان بدور القاتل والقتيل ، وانما مكسيم تويلييه وبول ارستين اللذان يتشاجران .

ثم ، بعد دقائق طويلة ، خرج القاتل من الغرفة ، وهل يمكن ان ندعوه بغير هذه الصفة .. وألم يكن فى الواقع هو مكسيم تويلييه .. عاد الى اصدقائه وهو يترنح والذعر فى عينيه .. وكانت رزم النقود الأربع فى يده ، وألقى واحدة منها فوق المنضدة ودس الثلاث الأخرى بالقوة فى جيوب الثلاثة الأخرين وهو يقول لهم :

– تفاهمت مع بول ارستين . وكلفنى بأن أعيد اليكم هذه النقود فهو لا يريدها ، فهلموا بنا ننصرف .

* * *

وانتهت التمثيلية واعتدل جيم بارنيت وعاد .. جيم بارنيت من جديد . وعلى بعد أربع خطوات منه كان مكسيم توليبيه ، مكسيم توليبيه الحقيقى ، يعتمد على ظهر مقعد وقد اصفر لونه وانقلبت سحنته .. وقال له جيم بارنيت :

– هكذا حدث الأمر يامسيو مكسيم توليبيه ، أليس كذلك ؟ لقد أعدنا تمثيل الجريمة بكل تفاصيلها ، وأجدت القيام بالدور الذى قمت أنت به فى تلك الليلة ، أليس كذلك ؟ ألم تقع الجريمة هكذا ؟ .. جريمتك ؟

بدا كأن مكسيم توليبيه لا يستطيع أن يسمع ، فقد أطرق برأسه ، وتخاذلت يداه ، وغدا أشبه بتمثال ، أقل نفخه تتسبب فى وقوعه ، وترنح ، كما يترنح الرجل السكران ، وتهالك فوق مقعده .

وعندئذ انقض جيم بارنيت عليه وأمسك بتلابيبه وقال :

– أنت تعترف ، أليس كذلك ؟ لا يمكن ان يكون الأمر قد حدث بغير ذلك ومهما يكن فاننى أملك كل الأدلة ، وأستطيع ان أثبت انك كنت تحمل دائما تلك القبضة الحديدية ، ثم ان خسارتك فى اللعب أفلستك تماماً .. نعم .. ان تحرياتى أثبتت أن أعمالك كانت على شفا الهاوية لم تكن تستطيع سداد ديونك فى مواعيد استحقاقها .. وكان معنى ذلك إعلان إفلاسك .. وعندئذ ضربت ضربتك ، ولم تعرف ماذا تفعل بالقبضة ، فوثبت الى الشرفة المجاورة وأخفيتها فى أحد الصناديق .

ولم يكن بارنيت بحاجة الى كل هذا الجهد فان مكسيم توليبيه لم يبد أية مقاومة ، فقد حطمته ثقل الجريمة الفظيعة التى ارتكبها ، والتى يحمل عبئها منذ أسابيع ، وراح يتمتم ، رغماً عنه وبدون أى وعى ، كمريض يحتضر ، كلمات الاعتراف .

وامتلأت القاعة بالضجة ، وانحنى قاضى التحقيق فوق المذنب وراح يسجل الاعتراف غير الارادى .. وأراد والد بول ارستين ان ينقض على القاتل ، وراح المهندس يصرخ غضباً .. ولكن اصدقاء مكسيم كانوا هم الأكثر غضباً ، وخصوصاً اكبرهم سنا واكثرهم شهرة ، وهو ألفريد اوفار فقد راح يرميه بأقذع الكلمات .

– ما أنت إلا مجرم .. حملتنا على الاعتقاد بأن ذلك المسكين رد لنا أموالنا فى حين انك سرقتها بعد أن قتلته .

ورمى بربطة النقود فى وجه مكسيم توبلييه .. واستولى السخط على الأثنين الآخرين ، وراحا يدوسان الأوراق المالية .

* * *

وعاد الهدوء شيئاً فشيئاً ، ونقلوا مكسيم توبلييه الى غرفة أخرى وهو مغشى عليه تقريباً ، والتقط بارنيت الأوراق المالية وناولها للمحققين . وسمح هؤلاء لمسيو فورجيريه وزوجته بالانصراف ، وكذلك لوالد بول ارستين ، ثم هنأوا جيم بارنيت لذكائه .. وقال هذا الأخير :

– كل هذا ، أعنى انهيار مكسيم توبلييه ما هو إلا الناحية المبتذلة فى المأساة ، والغرابه فيها أنها تبدو كما لو كانت مأساة غامضة جدا ، فى حين أنها ليست إلا حدثا عاديا تسبب فيه شئ آخر ، ورغم أن هذا لا يخصنى .

وأمسك وتحول الى رجال الصناعة الثلاثة الذين كانوا يتحدثون فى صوت خافت ، واقترب منهم وربت على كتف مسيو اوفار برفق وقال له :

– هل تسمح لى بكلمة ياسيدى ؟

قال الفريد اوفار :

– بخصوص ؟

– بخصوص الدور الذى قمت به أنت وصديقاك ياسيدى .

– ولكننا لم نقم بأى دور على الاطلاق .

– لم يكن دورا فعالاً بالطبع .. ومع ذلك فهناك بعض المتناقضات المزعجة .. ويكفينى ان أشير إليها ، فأنتم قد أعلنتم فى صباح يوم الجريمة ان لعبة الباكارا انتهت فى النهاية الى صالحكمْ ، وهو ما ألغى خسارتكم وجعلكم تقررون الانصراف بهدوء .. ولكن هذا الاعتراف تنقضه الحقائق .

هز مسيو اوفار رأسه وقال :

– الواقع ان هناك سوء فهم ، والحقيقة ان الأدوار الثلاثة الأخيرة ضاعفت خسارتنا .. ونهض بول ارستين ، وتبعه مكسيم تويلييه وهو يبدو رابط الجأش الى الغرفة الصغيرة ، لكى يدخن سيجارة فى حين أننا بقينا ثلاثتنا نتبادل الحديث .. وعندما عاد ، ربما بعد سبع أو ثمانى دقائق ، وقال لنا ان بول لم ينظر أبداً الى هذه اللعبة كما لو كانت جدية ، وانه انما كان يشرب الشمبانيا ويلعب لمجرد اللهو والتسلية وانه متمسك بأن يعيد الينا نقودنا ولكن على شرط ألا يعرف أحد بذلك أبداً ، ونتيجة اللعب ستعتبر ، اذا ماتحدث عنها أحد كما لو كانت التعويض الحق للخسائر التى لحقت بنا

صاح بارنيت :

– وقبلتم مثل ذلك العرض ؟ .. هدية لا يبررها أى شئ . واذ قبلتموها لم تذهبوا لتشكروا بول أرستين ؟ .. ووجدتم أن من الطبيعى أن بول أرستين ، المعروف بأنه مقامر محنك ومعتاد على الربح والخسارة يتنازل عن حظه

بكل سهولة ؟ .. يالها من أمور غير معقولة ومستبعدة .

– كنا فى الساعة الرابعة صباحاً ، وأذهاننا تغلى ، ولم يترك لنا مكسيم متسعاً من الوقت للتفكير ثم ، لماذا لانصدقه ، مادمنا كنا نجهل أنه قتل وسرق .

– ولكنكم عرفتم فى صباح اليوم التالى أنه قتل .

– هذا صحيح .. ولكنه قتل بعد رحيلنا ، وهو الأمر الذى لم يغير شيئاً من إرادته التى عبر عنها .

– ألم يتطرق إليكم الشك فى مكسيم تويلييه لحظة واحدة ؟

– وبأى حق ؟ .. إنه واحد منا .. وأبوه كان صديقى ، وأعرفه منذ طفولته كلا .. اننا لم نشتبه فى شئ .

– هل أنت على يقين من ذلك ؟

وتابع بارنيت هجومه على الفور فقال فى هدوء :

– الواقع ان كل هذه القضية يسيطر عليها عنصر نفسى من الثقة التى توحون بها .. لم تكن الجريمة لتقع حقاً إلا من الخارج أو من الداخل . ولكن التحقيق اتجه على الفور الى الخارج بسبب جوهرى وهو أنه لا يمكن الاشتباه فى مجموعة الشرف والنزاهة التى يتكون منها رجال الصناعة الأربعة الأثرياء والحاصلون على الأوسمة والمشهورون بالسمعة الطيبة .. لو أن واحداً منكم ، ولو أن مكسيم تويلييه لعب القمار بمفرده مع بول أرستين لارتقت اليه الشبهة بلا ريب .. ولكنكم أربعة لاعبين ، ونجا مكسيم مؤقتا بصمت الأصدقاء الثلاثة ، فلم يتصور أحد قط أن ثلاثة رجال محترمين ولهم مكانتهم يمكن أن يكونوا شركاء .. ومع ذلك فهذا ماحدث ، وهذا ما خمنته

انا على الفور .

أجفل الفريد اوفار وقال :

- ولكنك مجنون أيها السيد .. أنكون شركاء فى الجريمة ؟

- أوه . اننى لا أقول ذلك ، فأنت كنت تجهل بالطبع ما كان ينوى مكسيم توليبيه أن يفعل فى الغرفة الصغيرة عندما تبع بول أرستين .. ولكنك كنت تعرف انه ماض إليها وهو فى حالة ذهنية خاصة .. وعندما خرج كنت تعرف ان شيئا ما قد حدث .

- لم نكن نعرف شيئاً .

- بل كنتم تعرفون .. فان جباناً كصديقكم لا يقتل من غير أن تحتفظ سحنته بتعبير من الخوف والجنون .

- اؤكد لك اننا لم نر شيئاً .

- لم تشاءوا أن تروا .

- ولماذا ؟

- لأنه أعاد إليكم المبالغ التى خسرتموها .. نعم .. اننى أعرف أنكم أثرياء أنتم الثلاثة ، ولكن لعبة الباكارا أخلت بتوازنكم ، ومثل جميع المقامرين خامركم احساس بأنه سلبكم نقودكم ، وعندما أعيدت إليكم تلك النقود قبلتموها من غير أن تريدوا معرفة الطريقة التى حصل صديقكم عليها تمسكتم بالصمت فى يأس .. وفى صباح اليوم التالى .. والأيام التى تلته ، بعد اكتشاف الجريمة ، حرص كل منكم على عدم اللقاء بالآخر من فرط خوفكم من معرفة ما يدور فى ذهن كل منكم .

- هذه مجرد افتراضات .

– بل يقين تأكدت منه .بتحقيق دقيق قمت به فى محيطكم فإن اتهامكم لصديقكم يعنى الاعلان عن ضعفكم ويلفت النظر اليكم ، والى عائلاتكم ، ويلقى بالظلال على ماضيكم المشرف الذى لا يشوبه شئ .. فان معنى ذلك الفضيحة ، فلزمتم الصمت وخدعتم بذلك العدالة ، وأمنتم صديقكم منها .

القى الاتهام بكل عنف .. واخذت المأساة بعداً أليماً بحيث ان مسيو اوفار تردد لحظة .. ولكن جيم بارنيت غير مجرى الحديث فجأة بأن راح يضحك ثم قال :

– ولكن اطمئن أيها السيد . . اننى أفلحت فى القضاء على صديقكم مكسيم بأن زيفت اللعبة الأخيرة وجعلته يشهد جريمته ، ولكننى لم اكن أملك أية أدلة ضده ، كما أننى لا أملك أدلة ضدكم ، وأنتم لستم من أولئك الناس الذين ينهارون بسهولة ، خاصة وأننى أعود وأقول ان اشتراككم غامض ، وغير منطقى ، ويدور فى منطقة لا يمكن للعين أن تراها .. ولهذا فليس هناك ما تخشونه .. ولكننى ..

وازداد اقتراباً من محدثه ، ووقف وجها لوجه أمامه وقال :

– ولكننى أردت ألا تنعموا بالأمان أو الراحة ، فمن فرط تمسككم بالصمت والنباهة بلغ بكم الأمر أنتم الثلاثة الى أن تتناسوا اشتراككم الاختيارى تقريبا .. كلا .. لا يجب أن يكون هذا .. تذكروا دائما أنه لو أنكم منعتم صديقكم مكسيم من أن يتبع بول أرستين الى الغرفة الصغيرة فانه ما كان ليموت .. وعلى هذا تدبروا أمركم مع العدالة أيها السادة .

وأخذ جيم بارنيت قبعته ، وقال لقاضى التحقيق دون أن يعبأ باحتجاجات الرجال الثلاثة :

– كنت قد وعدت مدام فورجيريه بنجدة زوجها ، كما وعدت والد بول

أرستين بان اكشف القناع عن الجانى . وقد انجزت وعدى ، وانتهت مهمتى

* * *

شد رجال التحقيق على يد جيم بارنيت فى غير حماس .. ومن المحتمل ان مرافعته لم ترق لهم كثيراً ، وانهم لم يكونوا على استعداد لمجاراته فى هذه الناحية .

وقال للمفتش بيشو ، عندما لحق به على البسطة :

– ان الرجال الثلاثة يتمتعون بحصانة كبيرة ، ولا يمكن حتى التفكير فى استجوابهم ، فهم من كبار البرجوازيين المعروفين بسمعتهم الطيبة ، وثرائهم الطائل ، ثم أنهم من أعمدة المجتمع ، ولا أملك ضدهم غير شكوكى واستنتاجاتى ، ولا تجرؤ العدالة على أن تمسهم بأى سوء .. ولكن ذلك لا يهمنى فقد أنجزت مهمتى على أحسن ما يكون .

وافقه بيشو قائلاً :

– وبكل شرف .

– بكل شرف ؟

– أجل . فقد كان فى مقدورك أن تلتقط بكل سهولة الأوراق المالية فى طريقك .. وقد خشيت ذات لحظة أن تفعل ذلك .

قال بارنيت فى وقار :

– من تظننى أيها المفتش بيشو ؟

ثم خرج من البيت ، ومضى الى البيت المجاور حيث شكره الزوجان فورجيريه بحماس كبير .. وبكل وقار رفض مكافأتهما، كما قابل بنفس

الوقار المكافأة التى عرضها عليه والد بول أرستين وقال :

- ان مكتب بارنيت يعمل بالمجان ، وفى هذا قوته وأصالته . إننا نعمل من أجل المجد .

وسدد جيم بارنيت حسابه فى الفندق ، وأصدر أوامره بأن تنقل حقيبته الى المحطة .. ولما كان يفترض أن يعود بيشو معه الى باريس فقد أخذ طريقه عبر الأرصفة ، ودخل مبنى النادى . وتوقف فى الطابق الأول وهو يرى بيشو يهبط .

كان يهبط مسرعاً .. وعندما رأى بارنيت صاح فى لهجة غاضبة :

- ماذا فعلت بالأوراق المالية ؟

رد عليه بارنيت فى براءة :

- أية أوراق ؟

- تلك التى امسكتها بين يديك عندما كنت فى الغرفة الصغيرة ، وانت تقوم بدور مكسيم تويلييه .

- كيف هذا ؟ ولكننى أعدت الرزم الأربعة .. وانت بالذات قد هنأتنى على ذلك منذ لحظة أيها الصديق العزيز .

صاح بيشو :

- لم اكن أعرف ما عرفته الآن .

- وماذا عرفت ؟

- ان الاوراق المالية التى أعدتها زائفة .

وازداد غضب بيشو وأردف يقول :

- ما أنت إلا لص . آه . هل كنت تظن اننا سنسكت على ذلك ؟ سوف تعيد الأوراق الحقيقية ، والآن فورا ، فان الاوراق الأخرى زائفة ، وانت تعلم ذلك تماماً .

واختنق صوته ، وراح يهز جيم بارنيت بعنف وغضب ، ولكن هذا الأخير انفجر ضاحكاً ، ثم قال :

- آه . ياللأوغاد ! لا يدهشنى هذا منهم .. اذن كانت الاوراق التى ألقوها فى وجه مكسيم زائفة . ياللأوغاد ! يأمرونهم بالمجئ بأموالهم فيأتون بأوراق زائفة .

صاح بيشو وقد خرج عن طوره :

- ولكن ألا تفهم ان هذه النقود ملك لورثة القتيل .. لقد ربحها بول أرستين ، ويجب على الآخرين أن يعيدوها إليهم .

لم يعد لمرح بارنيت أى حدود وصاح :

- آه . هذه ثالثة الأثافى .

صرخ بيشو :

- انت الذى سرقتهم . نعم ، انت الذى قمت بعملية الاستبدال .. انت الذى أخذت النقود .. أيها الوغد .. أيها النصاب .

وعندما خرج رجال التحقيق من النادى رأوا بيشو يلوح بيديه من غير ان يصدر منه صوت ، وهو فى حالة من الهياج الشديد ، وامامه جيم بارنيت ، معتمداً على الجدار وهو لا يتمالك نفسه من فرط الضحك ، وعيناه مغرورقتان بالدموع وهو غارق فى نوبة من الضحك .

***

٤ ذو الأسنان الذهبية

رفع جيم بارنيت ستارة النافذة التى تطل على الشارع ، بمكتب بارنيت وشركاه وراح يضحك فى صمت .. واضطر ان يجلس لأن نوبة الضحك التى استولت عليه خذلت ساقيه وقال :

– آهٔ .. ما أغرب هذا .. لم أتوقع هذا أبداً .. بيشو قادم لزيارتى .. هذا عجيب والله .

سأله بيشو بمجرد دخوله :

– ما هو العجيب ؟

وراح يتأمل ذلك الرجل الذى يضحك ويتمتم بكلمات وهو يلهث وعاد يقول

– ما العجيب ؟

– زيارتك طبعاً .. كيف هذا ؟ أتجرؤ بعد قصة النادى بروين على المجئ هنا .. ما أعجب أمرك يا بيشو !

كان بيشو يبدو مرتبكا جداً بحيث أن بارنيت أراد أن يتمالك نفسه ولكنه لم يستطع ، فراح يضحك فى مرح وهو يسعل سعالاً يكاد يخنقه :

– معذرة ياصديقى العزيز بيشو ، فإن الأمر غريب جداً ، فهاهو ممثل

العدالة يأتيني بعصفور جديد لكي انتزع ريشه .. لعله مليونير ؟ أو ربما يكون وزيراً .. ما أظرفك واكرمك أيها الصديق العزيز .. قل لي ، ما هي قصتك ، وما الذي أتى بك ؟.. هل هناك من يطلب المساعدة ؟

حاول بيشو أن يجد رباطة جأشه القديمة وهو يقول :

– نعم .. قسيس كريم من ضواحي باريس .

– وقتل من قسيسك الكريم ؟.. أخاً من اخوته ؟

– كلا ، بل على العكس .

– هذا غريب .. انت لاتتحدث اليوم بسهولة يا بيشو .. ليكن .. دعنا من الحديث إذن وامض بي الى حيث يقيم قسيسك الكريم .. ان حقيبتي معدة دائماً اذا ماتعلق الأمر بأن أرافقك .

* * *

تقع قرية فانيل الصغيرة في جوف وفوق المنحدرات الثلاثة التي تتكون كنيستها القديمة كاطار من الخضرة ، وتمتد بجوار هذه الكنيسة مقبرة ريفية جميلة يحدها يميناً وشمالاً سور مزرعة كبيرة يقع فيها قصر صغير وعلى يساره جدار بيت القسيس .

مضى بيشو بجيم بارنيت الى غرفة الطعام بذلك البيت ، وقدمه للقسيس ديسوك على أنه مخبر سري لا يعرف لكلمة مستحيل معنى .

والواقع ان القسيس ديسوك كان رجلاً شهماً حلو المظهر ، شديد البدانة ومتورد الوجه ، متوسط السن وكان وجهه الوديع ينم عن كرب كبير لم يخلق له .. ولاحظ جيم بارنيت يديه المنتفختين وكرشه البارز الذي يكاد يشطر ثوبه الكهنوتي نصفين .

- سيدى القسيس ، انا لا أعرف شيئا من المسألة التى تشغل بالك ، فان صديقى المفتش بيشو لم يقل لى اكثر من انه سبق أن التقى بك من قبل فهل لك الآن أن تزودنا ببضعة ايضاحات دون التطويل فى أمور لا فائدة منها .

ولا ريب أن القس ديسول كان قد أعد حديثه منذ وقت طويل لأنه تكلم على الفور فقال بصوت رقيق خافت :

- اعلم يامسيو بارنيت أن خدم هذه الكنيسة هم فى نفس الوقت حراس لكنز دينى ورثته كنيستنا فى القرن الثامن عشر من أصحاب قصر فانيل ، وهو عبارة عن معرضين من الذهب لشعاع القربان المقدس وصليبين وبضعة شمعدانات وخيمتين .. وهناك ، بل يجب أن أقول بكل أسف أنه كانت هناك تسع قطع قيمة كانوا يأتون لرؤيتها من كل حدب وصوب .. ومن ناحيتى انا .

وجفف القسيس ديسول جبينه الذى يتصبب بعرق خفيف واستطرد :

- ومن ناحيتى انا ، أعترف بأن حراسة هذا الكنز كانت تبدو لى محفوفة بالخطر ، وكنت أقوم بتلك الحراسة بكل اهتمام واخلاص ، وفى خوف شديد فى نفس الوقت . ويمكنك أن ترى عبر هذه النافذة صور الكنيسة وغرفة ملابس القداس ذات الجدران السميكة ، حيث توجد الأشياء المقدسة . ولتلك الغرفة باب واحد من خشب البلوط يؤدى الى المحراب ، وانا وحدى معى مفتاحها الضخم ، وانا وحدى معى مفتاح الخزانة التى نحتفظ فيها بالكنز ، وانا أيضاً الذى أتولى مهمة مرافقة الزوار .. وحيث أن نافذة غرفتى لاتبعد عن الكوة المسورة بالقضبان التى تنير غرفة الثياب من أعلى فاننى ركبت ، خفية عن الجميع ، حبلاً فى آخره جرس صغير يوقظنى عند

أقل محاولة لاقتحام الغرفة .. ثم اننى ، زيادة فى الحرص ، أنقل الى غرفتى كل ليلة أثمن تلك القطع ، وهى تحفة مرصعة بالماس .. ومع ذلك فاننى فى هذه الليلة .

ومرة أخرى مرر القس ديسول منديله فوق جبينه ، فقد راحت قطرات العرق تزداد كلما تقدم فى سرد مأساته المفجعة . وعاد يقول :

– ولكن ، فى نحو الساعة الواحدة من هذه الليلة لم يوقظنى رنين الجرس مذعورا فى وسط الظلام ، وانما أيقظنى شئ وقع على الأرض .. وخطر لى ان بعضهم ربما سرق التحفة فصحت :

– من هنا؟

ولم يرد على أحد ، ولكننى كنت واثقا من وجود شخص بجوارى ، كما كنت واثقا من أنه وثب من النافذة لأننى أحسست بطراوة الخارج .. أمسكت متحسساً بمصباحى الكهربائى وأضأته وانا أرفع ذراعى ، وعندئذ رأيت .. مدة لحظة خاطفة وجهاً مكشراً تحت قبعة رمادية الحواف ، وفوق ياقة بنية مرفوعة .. ولمحت فى الوجه المكشر الذى انفرجت شفتاه قليلا ، وبوضوح ، على اليسار ، سنتين ذهبيتين .. وضربنى الرجل ضربة شديدة فوق يدى فوقع المصباح .. واندفعت نحوه .. ولكن اين كان ؟ خيل الى أننى درت حول نفسى .. على كل حال اصطدمت برخام المدفأة ، أمام النافذة بالذات وعندما أفلحت فى العثور على عيدان الثقاب كانت غرفتى خالية .. ورأيت على حافة النافذة سلماً ، أخذه الرجل من المخزن .. ولم أجد التحفة مكانها كما ان الكنز اختفى .

ولثالث مرة ، جفف القسيس ديسول وجهه .. كان يتصبب عرقاً والقطرات تسيل كالشلالات .. وقال بارنيت :

– وبالطبع اغتصب السارق الكوة وقطع حبل الأنذار مما يثبت ان العملية نفذها رجل يعرف المكان كما يعرف عاداتك .. وعلى هذا قمت انت ياسيدى القسيس بمطاردته ؟

– بل اننى أخطأت وصحت أقول " الى اللص " لأن رؤسائى لا يحبون الفضيحة ، ويلومونني بسبب الضجة التى أثرتها حول الموضوع .. ولحسن الحظ لم يسمع ندائى غير جارى الوحيد ، وهو البارون دى جرافيير ، الذى يستغل المزرعة ، من الناحية الأخرى من المقبرة ، منذ عشرين سنة .. وقد شاركنى رأيى فقال انه يجب أن نحاول الحصول على الأشياء المسروقة قبل اخطار البوليس وتقديم أية شكوى .. وحيث انه يمتلك سيارة فقد رجوته أن يمضى الى باريس وأن يأتى بالمفتش بيشو .

وقال بيشو وقد انتفخت أوداجه من فرط شعوره بأهميته :

– وكنت هنا فى الساعة الثامنة . وفى الساعة الحادية عشرة كنت قد فرغت من كل شئ .

صاح بارنيت :

– ايه .. ماذا تقول ؟ .. هل القيت القبض على اللص ؟

مد بيشو أصبعه نحو السطح فى زهو وقال :

– فوق .. وقد حبسته فى مخزن الغلال ، ويقوم البارون دى جرافيير بحراسته .

– عظيم .. هذه ضربة معلم يا بيشو . تكلم وأوجز .

– الأمر فى غاية البساطة .. كانت هناك أولا آثار أقدام كثيرة على الأرض المبتلة بين الكنيسة وبيت القسيس .. وثبت من فحصها أنها

لشخص واحد ، نقل الأشياء الثمينة أولا الى مكان بعيد ، ثم عاد ليتسلق بيت القسيس ، وعاد بعد ذلك وحمل غنيمته وهرب عبر الطريق .. واختفت الآثار على مقربة من حانة هيبوليث .

قال بارنيت :

– وطبعا استجوبت صاحب الحانة على الفور ؟

واستطرد بيشو :

– وعندما سألت صاحب الحانة عن رجل يلبس قبعة رمادية ومعطفا بنياً وله سنتان ذهبيتان هتف يقول :

– انه مسيو فرنيسون ، البائع المتجول .. وهو يأتى هنا فى الرابع من شهر مارس ، فيتوقف بعربته ويتناول غذاءه ثم يمضى لزيارة عملائه .

– ومتى عاد ؟

– مع دقات الساعة الثانية صباحاً ، كعادته .

– وهل رحل الآن ؟

– منذ اربعين دقيقة ، فى طريق شانتيللى .

سأله بارنيت :

– وعلى ذلك أسرعت خلفه ؟

– اصطحبنى البارون فى سيارته .. ولحقنا بالسيد فرنيسون ، وأرغمناه على العودة ، رغم احتجاجاته .

قال بارنيت :

– آه .. هو لم يعترف اذن ؟

– بل انه اعترف تقريباً ، فقد قال :

– لا تقولوا شيئا لزوجتى .. لا تذكروا شيئا لزوجتى .

– والكنز ؟

– لم نجد شيئاً فى العربة .

– ومع ذلك فالأدلة دامغة ؟

– تماماً . فأثر حذائه يتفق تماما مع الآثار الموجودة فى المقبرة.. وفوق ذلك فان السيد القسيس يؤكد انه التقى بنفس الرجل فى آخر النهار ، فى المقبرة .. وعلى ذلك ، فليس هناك أدنى شك .

– فيم الخلل اذن ؟ .. لماذا استنجدت بى ؟

قال بيشو فى استياء :

– ذلك بسبب السيد القسيس ، فهناك نقطة ثانوية يختلف فيها معى .

قال القسيس ديسول :

– بل انت الذى تزعم أنها مسألة ثانوية .

سأله بارنيت :

– ما الخبر اذن ياسيدى القسيس ؟

أجاب القسيس :

– ذلك بسبب .

– بسبب ماذا ؟

– بسبب السنتين الذهبيتين .. فان المسيو فرنيسون له سنتان، ولكنهما

- ولكنهما ؟ .

– انهما تقعان فى الناحية اليمنى من وجهه فى حين ان اللتين رأيتهما كانت تقعان فى الناحية اليسرى .

لم يتمالك جيم بارنيت نفسه فانفجر ضاحكاً .. ونظر اليه القسيس ديسول مبهوتا ، فصاح :

– فى الناحية اليمنى من وجهه .. يا لها من كارثة .. ولكن هل انت واثق انك غير مخطئ ؟

– اننى أشهد الله على ذلك .

– ومع ذلك فأنت قد التقيت بذلك الرجل ؟

– فى المقبرة .. وهو نفس الرجل .. ولكن لا يمكن أن يكون هو نفس الرجل الذى رأيته ليلاً ، لأن السنتين كانتا على اليسار فى حين ان سنتى مسيو فرنيسون على اليمين .

قال بارنيت وهو لا يتمالك نفسه من الضحك :

– لعله غير مكانهما .. جئنا بهذا الرجل يا بيشو .

وبعد دقيقتين دخل السيد فرنيسون وهو فى حالة يرثى لها ، محنى الظهر مقلوب السحنة ، متهدل الشارب .. كان يرافقه البارون دى جرافيير ، وهو نبيل ريفى ، قوى الجسم ، مربع الكتفين ، يمسك فى يده مسدساً .. وكان مسيو فرنيسون يبدو مشدوهاً ، وراح يتأوه على الفور ويقول :

– اننى لا أفهم شيئا فى مسألتكم هذه .. أشياء ثمينة ، وقفل مغتصب ما معنى هذا ؟

صاح به بيشو :

- أولى بك أن تعترف بدلاً من هذه السخرية .

- اننى أعترف بكل ماتريد ، شريطة ألا تخبروا زوجتى .. كلا .. اننى يجب ان أنضم إليها فى بيتنا بآراس فى الاسبوع المقبل .. يجب أن أكون هناك ، وألا تعرف شيئاً .

كان يهتز من الانفعال والخوف الى حد أنه فغر فمه وبدت فيه السنتان الذهبيتان .. واقترب بارنيت منه وأدخل أصبعين فى فمه ثم قال فى رفق :

- انهما لا تتحركان ، وهما سنتان تقعان فعلا على اليمين فى حين ان السيد القسيس رأى السنتين على اليسار .

قال بيشو فى غضب :

- هذا لا يغير من الأمر شيئا .. ان السارق فى أيدينا ، وهو يأتى الى القرية منذ سنوات لكى يرسم خطته .. انه هو .. وقد أخطأ السيد القسيس

بسط القسيس ذراعيه الى الأمام فى هدوء وقال :

- اننى أشهد الله على ان السنتين كانتا على اليسار .

- بل على اليمين .

- على اليسار .

قال بارنيت :

- لاداعى للجدل .. صفوة القول ، ماذا تريد يا سيدى القسيس ؟

- أريد تفسيراً يطمئننى تماماً .

- وإلا .

- وإلا لجأت الى القضاء ، كما كان الواجب يفرض على ذلك منذ البداية

اذا لم يكن هذا الرجل مذنباً فلا حق لنا فى استجوابه .. واننى أعود فأكرر ان سنتى اللص الذى سرقنى كانتا على اليسار .. صاح بيشو :

– على اليمين .

عاد القسيس يقول فى إصرار :

– بل على اليسار .

قال بارنيت وهو فى غاية الطرب .

– لا على اليمين ولا على اليسار .. سأسلمك الجانى غداً ، فى الساعة التاسعة ، هنا يا سيدى القسيس ، وسيذكر لك هو بنفسه أين الأشياء الثمينة .. ستقضى الليلة هنا ، على هذا المقعد ، والبارون على ذلك المقعد ومسيو فرنيسون فى هذا المقعد الثالث ، موثق اليدين . وسوف توقظنى يا بيشو فى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين ، وأرجو أن يكون الافطار جاهزاً .. خبز مقدد وشيكولاته وبيض برشت و ..

* * *

رؤى جيم بارنيت فى أصيل ذلك اليوم فى كل مكان .. وهو يفحص المدافن ، قبراً قبراً ويفحص غرفة القسيس ، ورؤى فى مصلحة البريد حيث تكلم فى التليفون ، ورؤى فى حانة هيبوليت حيث تناول العشاء مع صاحب الحانة ، ورؤى فى الطريق وفى الحقول .

ولم يعد إلا فى الساعة الثانية صباحاً .. وكان البارون والمفتش بيشو يغطان فى النوم ، وهما يضغطان بينهما الرجل ذا السنتين الذهبيتين .. وما أن سمع مسيو فرنيسون بارنيت حتى راح يتأوه ويقول ، لا تخبروا زوجتى .

وارتمى جيم بارنيت على الأرض وراح فى النوم على الفور .

أيقظه بيشو فى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين .وكان طعام الافطار جاهزاً وازدرد بارنيت أربع قطع من التوست ، والشيكولاته ، والبيض ، ثم جمع مستمعيه حوله وقال :

– سيدى القسيس .. اننى أفى بالوعد الذى قطعته على نفسى بالأمس ، وفى الساعة التى حددتها .. وسأريك انت يا بيشو كيف أن كل الخدع المهنية كالبصمات وأعقاب السجائر والتفاهات الأخرى لا وزن لها تقريباً أمام المعلومات العاجلة لعقل سليم تسانده البديهة .. وسأبدأ بمسيو فرنيسون .

غمغم مسيو فرنيسون وقد بدا يعانى من الأرق والقلق :

– لك أن ترمينى بكل الموبقات شريطة ألا تخبر زوجتى .

قال جيم بارنيت :

– منذ ثمانية عشر عاماً التقى مسيو فرنيسون ، وكان يعمل سمساراً لإحدى الشركات ، هنا فى نافيل بالآنسة أنجليك الخياطة .. وكان حباً من أول نظرة لكلا الجانبين .. وحصل على بضعة أسابيع غازل فيها الآنسة أنجليك وغزا قلبها .. وقد أحبته هى الأخرى كل الحب ، وأسعدته ، وماتت بعد سنتين من ذلك .. ولم يسلوها مسيو فرنيسون ، ورغم انه استسلم بعد ذلك لاغراء الآنسة هونورين وتزوجها إلا ان ذكرى الآنسة انجليك بقيت حية فى ذهنه .. ولما كانت الآنسة هونورين شرسة جداً وشديدة الغيرة فإنها لم تكف أبداً عن لومه على تلك الصلة التى كشفتها لها الصدفة .. أليس كذلك يا مسيو فرنيسون ؟

أجاب هذا الأخير :

كل ما تريد شريطة أن .

واستطرد جيم بارنيت يقول :

– وعلى ذلك دبر مسيو فرنيسون أمره لكى يقدم بعربته الى فانيل من غير أن تعلم زوجته بذلك ، ويجثو عند قبر انجليك فى ذكرى وفاتها من كل سنة ، فى اليوم الرابع من شهر مارس .. ويزور الأماكن التى عاشا فيها فى يوم لقائهما ولا يعود الى الحانة إلا فى الساعة التى عاد فيها فى ذلك اليوم .

ونحن نفهم الآن لماذا يخشى مسيو فرنيسون أن تعرف زوجته أن زوجها غير الوفى متهم بالسرقة بسبب حبيبته الراحلة .

كان مسيو فرنيسون يبكى ، ويبكى مسبقا ، وهو يتصور انتقام مدام فرنيسون .. كان هذا وحده سبباً كافياً بالطبع بالنسبة له ، اما ماعدا ذلك فلم يكن يحفل به .. وراح بيشو والبارون دى جرافيير والقسيس ديسول يصغون فى اهتمام زائد . واستأنف بارنيت قصته فقال :

– عرفنا الآن أحد الأسباب لقدوم مسيو فرنيسون الى فانيل بانتظام ، وهذا السبب يقودنا رأساً الى أن نجلو سر الكنز ، فالعلاقة بين هاتين النقطتين وثيقة ، ولا ريب أن من المسلم به أن كنزا بهذه الضخامة لابد من أن يثير الخيال والأطماع ، ولابد من أن تنبثق فكرة السرقة فى اذهان الكثيرين من الزوار أو من أهالى البلد .. وهى سرقة صعبة التنفيذ بسبب الاحتياطات التى اتخذها السيد القسيس .. ولكنها ليست صعبة لمن يعرف تلك الاحتياطات ويدرس المكان منذ سنوات ويرسم خطة لتبعده عن خطر الاتهام ، فهنا كل المسألة .. وهو ألا يتعرض لأدنى اتهام .. وخير وسيلة لذلك هى أن يعمل على توجيه الاتهام الى شخص آخر .. إلى ذلك الرجل الذى يأتى خلسة الى المدافن فى يوم محدد ، ويختفى ، وعندئذ يدبر صاحبنا خطته فى صبر وأناة .. قبعة رمادية ومعطف بنى وبصمات حذاء

وسنتان ذهبيتـان ، ويرسم خطتـه بكل اتقان بـحيث تقع التهمـة علي ذلك الغريب وليس على السارق الحقيقى ، وأعنى به ذلك الذى يدبر ويتابع خطته فى ظل الكنيسة ، سنة بعد سنة .

لزم بارنيت الصمت لحظة . بدا شئ من الحقيقة يظهر واتخذ مسيو فرنيسون سمة الضحية .. ومد بارنيت يده وقال :

– لن تشتبه مدام فرنيسون فى سبب قدومك الى هذه البلد يا مسيو فرنيسـون .. وأرجـو ألا تغـضب بسبب الخطأ الذى وقع منذ يومـين ، وأن تلتمس لى العذر اذا كنت قد فتشت عربتك الليلة ، واكتشفت فى المخبأ السرى بخزانتك رسائل الآنسة انجليك واعترفاتك الخاصة .. وانت حر في الانصراف الآن يا مسيو فرنيسون .

نهض مسيو فرنيسون ، ولكن بيشو صاح فى استياء :

– لحظة واحدة .

– تكلم يا بيشو .

صاح المفتش :

– والسنتان الذهبيتـان ؟ لانه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن السيد القسيس رأى بعينيه سنتين ذهبيتين فى فم اللص .. ومسيو فرنيسـون له سنتان ذهبيتان ، هنا ، فى الجهة اليمنى من وجهه .

قال القسيس مصححاً :

– ولكن السنتين اللتين رأيتهما كانتا فى الجهة اليسرى من الوجه .

– أو لعلهما كانتا فى الجهة اليمنى يا سيدى القسيس .

– بل فى الجهة اليسرى .

راح جيم بارنيت يضحك من جديد وقال :

- ارجوكما ان تلزما الصمت .. انكما تتجادلان فى أمر تافه .. كيف يمكن ايها المفتش بيشو أن تتملكك الحيرة أمام مسألة صغيرة كهذه ؟ .. ولكنها مسألة من أسهل المسائل .. مسألة لا يعجز عنها عقل تلميذ صغير .

أعتقد يا سيدى القسيس ان هذه الغرفة صورة مطابقة تماماً لغرفتك أليس كذلك ؟

- هذا صحيح . وغرفتى فى الطابق العلوى .

- اغلق النوافذ ياسيدى القسيس وأسدل الستائر .. مسيو فرنيسون أعرنى قبعتك ومعطفك .

لبس بارنيت القبعة ذات الحواف الرخوة والمعطف البنى اللون ذا الياقة المرفوعة ، وعندما ساد الظلام فى الغرفة تماماً أخرج من جيبه مصباحاً كهربائياً وصوب شعاع المصباح على فمه المفتوح فصاح القسيس وهو ينظر اليه :

- الرجل .. الرجل ذو السنتين الذهبيتين .

- فى اى جهة من وجهى هاتان السنتان يا سيدى القسيس ؟

- فى الجهة اليمنى .. والسنتان اللتان رأيتهما كانتا فى الجهة اليسرى .

أطفأ جيم بارنيت مصباحه ، وامسك بالقسيس من كتفيه وجعله يلف حول نفسه مراراً كثيرة ، كالنحلة ، ثم ، أضاء مصباحه فجأة وهو يسأله بلهجة الأمر :

- انظر أمامك الآن .. أمامك تماماً .. في اية جهة ترى السنتين

الذهبيتين ؟

أجاب القسيس مشدوها :

- فى الجهة اليسرى .

رفع جيم بارنيت الستائر وفتح النوافذ وقال :

- فى الجهة اليمنى .. أو فى الجهة اليسرى .. انت غير متأكد . حسناً يا سيدى القس .. هذا ماحدث فى الليلة الماضية.. عندما نهضت مذعوراً وذهنك مرتبك لم تدر انك تولى ظهرك للنافذة وانك كنت أمام المدفأة ، وان السارق لم يكن واقفاً أمامك وانما بجوارك ، وأنك عندما أضأت المصباح لم تعكس نوره عليه وانما علي صورته المعكوسة فى المرآة .. وهذه هى نفس الظاهرة التى أحدثتها أنا بعد أن جعلتك تلف حول نفسك مراراً .. هل فهمت الآن .. وهل يجب أن أنبهك ان المرآة حين تعكس لك صورة تبين لك تلك الصورة على اليمين اذا كانت على اليسار ، وعلى اليسار اذا كانت على اليمين .. ومن ذلك يظهر لك أنك رأيت السنتين جهة اليسار بدلاً من جهة اليمين .

صاح المفتش بيشو مزهواً :

- نعم .. ولكن هذا لا يمنع من اننى إذا كنت على حق فان السيد القسيس لم يكن مخطئاً حين أكد انه رأى سنتين ذهبيتين ، ولهذا يتعين عليك أن تقدم لنا شخصاً له سنتان ذهبيتان بدلاً من مسيو فرنيسون .

- لا داعى لذلك .

- ولكن السارق كانت له سنتان ذهبيتان .

قال بارنيت :

– ولى انا سنتان ذهبيتان أيضا .

وأخرج من فمه قطعة من الورق المذهب لا تزال تحتفظ بشكل سنتين ذهبيتين .

– آه . هذا هو الدليل ، وهو دليل مقنع ، أليس كذلك ؟ .. بصمات الحذاء والمعطف البنى وبسنتين ذهبيتين نصطنع صورة لا تقبل الجدل من مسيو فرنيسون .. وما أسهل ذلك .. يكفى الحصول على قطعة من الورق المذهب ، كهذه ، وقد أتيت بها من نفس المحل بفانيل الذى اشترى منه البارون دى جرافيير قطعة من الورق المذهب منذ ثلاثة شهور .

نطق بارنيت بالعبارة الأخيرة فى اهمال ، ولكن كان لها صدى بدد الصمت بطريقة غريبة .. ولكن الواقع أن بيشو ، وقد قادته حجة بارنيت شيئاً فشيئاً نحو الهدف لم يندهش أبداً .. غير ان القسيس بدا كأنه يكاد يختنق ، وراح ينظر الى النبيل خلسة .. ولزم البارون دى جرافيير الصمت وقد اصطبغ وجهه من فرط الخجل .

وأعاد بارنيت القبعة والمعطف لمسيو فرنيسون ، وانصرف هذا الأخير وهو يتمتم :

– هل تؤكد لى ان مدام فرنيسون لن تعرف شيئا ؟ .. انه ليكون أمراً فظيعاً لو أنها عرفت .

وشيعه بارنيت حتى الخارج ثم عاد وهو يفرك يديه جذلاً وقال :

– عمل رائع أنجزته بسرعة ، وأشعر بشئ من الزهو .. أرأيت كيف يكون التحقيق يا بيشو ؟ دائما نفس الطريقة التى اتبعتها فى القضايا الأخرى التى انجزناها معا .. اننى لم أبدأ باتهام ذلك الذى نشتبه فيه ، ولم أسأله

أى تفسير أو أى إيضاح .. بل اننى لم أهتم به .. ولكننى قمت بدون أن يشعر بكل الحركات التى قام بها فى هذه المغامرة ، وجعلته يستعيد فى ذهنه كل ما أقدم عليه ويرى شيئاً فشيئاً ، ومذعوراً وهلوعاً كل ما كان يعتقد أنه أصبح فى الخفاء ، وان ليس هناك من يعرف عنه شيئا ، ويشعر بأنه وقع فى الفخ وأن لا منجاة منه ، واننى جمعت ضده كل الأدلة الدامغة ، بحيث يصبح متوتر الأعصاب ، ولا يفكر فى الدفاع عن نفسه أو فى الاحتجاج ، أليس كذلك يا سيدى البارون ؟ ثم اننى لست بحاجة الى أن اكشف لك أدلتى لأننى أعتقد أن ما ذكرته لك فيه الكفاية .

ولا ريب أن البارون دى جرافيير كان يعانى من نفس المشاعر التى وصفها بارنيت لأنه لم يحاول المقاومة أو اخفاء ما يشعر به من احباط . وما كانت هيئته لتختلف لو أنه القى عليه القبض متلبساً بجريمته .

واقترب بارنيت منه ، وطمأنه فى رفق كبير :

– على أنه ليس هناك ما تخشاه ياسيدى البارون ، فان القسيس ديسول لا يريد شيئا اكثر من تجنب الفضيحة ، ويطلب منك بكل بساطة أن تعيد إليه الأشياء الثمينة ، وبذلك لن تتعرض لأى اتهام .

رفع البارون رأسه وتأمل خصمه المخيف لحظة ثم تمتم وهو تحت تأثير نظرة بارنيت الصارمة :

– ألن اتعرض لأى اتهام حقاً ؟ ..ألن يتكلم أحد عن ذلك ؟ هل يتعهد السيد القسيس بذلك ؟

قال القسيس ديسول :

– لن أذكر شيئاً .. أعدك بذلك سأنسى كل شئ بمجرد أن يعود الكنز

مكانه .. ولكن هل هذا ممكن ياسيدى البارون ؟ أنت ؟ .. انت الذى ارتكب مثل هذا الجرم ؟ .. انت الذى وضعت فيك كل ثقتى .. أحد ابناء رعيتى المخلصين !

همس البارون دى جرافيير فى مذلة كطفل يعترف بذنب مخففاً جرمه :

– كان هذا أقوى منى ياسيدى القسيس .. كنت أفكر طوال الوقت فى ذلك الكنز الموجود فى متناول يدى .. وكنت أقاوم .. لم اكن أريد .. ثم دبرت الأمر رغماً عنى .

عاد القسيس يقول فى صوت حزين :

– أهذا ممكن ؟ .. أهذا ممكن ؟ .

– نعم .. فقد خسرت أموالى فى المضاربات فكيف أعيش؟.. ومنذ شهرين جمعت فى المخزن كل قطع الأثاث الأثرية القديمة .. ساعات ثمينة وسجاجيد .. كنت أريد بيعها ، وبذلك أنجو من الفقر .. ولكن قلبى كان يتفتت ، ثم اقترب اليوم الرابع من مارس .. وكان الاغراء قوياً عندئذ ، وهو أن أقوم بالضربة كما خططت لها .. واستسلمت للاغراء فاغفر لى .

قال القسيس ديسول :

– اننى أغفر لك ، وسأصلى لكيلا يقسو الله فى عقابك .

نهض البارون وقال فى لهجة حاسمة :

– هلموا بنا .. أرجو ان تتبعونى .

ومضوا عبر الطريق الطويل كأناس يتنزهون .. وكان القسيس ديسول يجفف وجهه من العرق ، والبارون يمشى فى خطوات ثقيلة محنى الظهر ، وبيشو يعصف به القلق فلم يشك لحظة واحدة فى أن بارنيت ، وقد كشف

الحقيقة بتلك البراعة لم يبادر باختلاس الأشياء الثمينة .

وكان جيم بارنيت يمشى بجواره وهو يقول فى ارتياح تام :

– كيف لم تكتشف الحقيقة بحق الشيطان ؟ انك أعمى يابيشو .. أما أنا فقد أدركت على الفور أن مسيو فرنيسون لم يستطع أن يقوم بذلك العمل نظرا لأنه كان يأتى مرة كل سنة ، وان مرتكب السرقة لابد أن يكون من الأهالى ، وأنه من الجيران المقربين .. ومن غير البارون الذى يقع قصره أمام الكنيسة بالذات، ويعرف فوق ذلك كل الاحتياطات التى اتخذها القسيس ديسول ، وكل الرحلات التى يقوم بها مسيو فرنيسون فى نفس الوقت . وعندئذ ..

لم يكن بيشو يصغى إليه ، لأنه كان غارقاً فى مخاوفه التى راحت تزداد شيئاً فشيئاً .. وداعبه برنيت قائلا :

– وعندئذ ، تأكدت من الأمر ، ورميته باتهامى دون أن يكون لدى أى دليل ولكننى رأيته يصفر ويمتقع وهو يصغى إلى .. ولم يستطع أن يتمالك نفسه . آه يا بيشو ! اننى لم أستمتع فى حياتى كما استمتعت عندئذ .. وها انت ترى النتيجة يا بيشو .

قال هذا الأخير وهو يتوقع المفاجأة :

– نعم ، اننى أراها .. بل سأراها .

وكان البارون دى جرافيير دار بقصره ، وسار فى طريق معشوشب ، وبعد ثلاثمائة متر ، بعد غابة من أشجار البلوط ، توقف وقال فى ارتباك :

– هنا .. وسط هذا الحقل .. فى الطاحونة .

زفر بيشو زفرة مريرة ، ولكنه اندفع مع ذلك ، فى سرعة للفراغ من الأمر

وتبعه الآخرون .

وكانت الطاحونة ضيقة ، وفرغ من تفتيشها فى دقيقة واحدة فرفع اكوام التبن ، وأطلق فجأة صيحة انتصار وقال :

– ها هو الكنز .. معرض القربان المقدس ، ومشعل وشمعدانات .. ستة أشياء .. بل سبعة .

وصاح القسيس :

– يجب أن تكون تسعة .

– تسعة ؟ .. نعم .. كلها موجودة .. مرحى يابارنيت .. هذا جميل حقاً . آه .. يا لهذا البارنيت !

وكاد القسيس ينهار من فرط الفرح ، وراح يضم الأشياء الى صدره وهو يتمتم :

– اننى أشكرك كثيرا يا مسيو بارنيت . .سيجازيك الله خير الجزاء

* * *

لم يخطئ المفتش بيشو مع ذلك عندما توقع مفاجأة . وكل ما هناك انها وقعت بعد ذلك بقليل .

ففى أثناء العودة ، وبينما كان البارون دى جرافيير ورفاقه يقتربون من القصر سمعوا صياحاً صادراً من الحديقة .. وأسرع البارون نحو المخزن ، وكان يقف أمامه ثلاثة من الخدم ووصيف وهم يأتون بحركات كثيرة .

وخمن البارون طبيعة الكارثة على الفور ، وتحقق من مداها .. فقد كانت هناك غرفة صغيرة ملحقة بالمخزن اغتصب بابها واختفت كل قطع الأثاث

الأثرية والساعات والسجاجيد التى كانت بها والتى تمثل آخر موارده .

وتمتم وهو يتلعثم :

– ولكن هذا فظيع ! .. متى سرقوا كل ذلك ؟

قال أحد الخدم :

– هذه الليلة .. فى نحو الساعة الحادية عشرة مساء نبحت الكلاب .

– ولكن كيف استطاعوا ؟ ..

– بسيارة سيدى البارون .

– بسيارتى ؟ .. هل سرقت هى الأخرى ؟

وتهالك البارون مصعوقاً بين ذراعى القسيس الذى واساه وهو يقول فى رفق :

– لم يتأخر القصاص يا صديقى المسكين ! .. فتقبله نادماً .

وشد بيشو الضغط على قبضتيه وسار نحو جيم بارنيت ، خطوة خطوة ، وقد تجمع حول نفسه على استعداد لكى ينقض ، وقال محنقاً :

– قدم شكوى ياسيدى البارون ، وانا أضمن لك ان مفروشاتك لن تضيع

قال بارنيت وهو يبتسم فى رفق :

– انها لم تضع طبعاً .. ولكن تقديم شكوى فيه خطر شديد للسيد البارون .

راح بيشو يتقدم نحوه اكثر فاكثر مهدداً .. ولكن بارنيت أسرع وشده اليه وهو يقول :

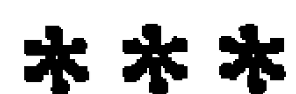
– هل تعرف ماذا كان يمكن أن يحدث من غيرى ؟ .. ما كان السيد

القسيس يجد كنوزه ، ولكان فرنيسون البرئ خلف القضبان الأن ، ولعرفت مدام فرنيسون بالسر الذى يكتمه زوجها عنها .. صفوة القول ، لم يكن أمامك عندئذ إلا أن تنتحر .

تهالك بيشو فوق جذع شجرة وهو يكاد يختنق من فرط الغضب ، فصاح بارنيت :

– أسرع ياسيدى القسيس .. مشروب منعش .. فهو ليس على ما يرام .

أصدر البارون دى جرافيير أوامره . وجئ بزجاجة من النبيذ المعتق ، جرع بيشو منها كأساً ، والقسيس كأساً هو الآخر .. وافرغ البارون بقيتها فى جوفه .



٥ سندات بيشو الأثنى عشر

كان أول شئ أهتم به مسيو جاسير عند صحوه أنه تحقق من وجود ربطة السندات التى أحضرها معه بالأمس ، على الطاولة بجوار الفراش ، حيث وضعها .. واذ اطمأن ، مضى الى دورة المياه .

كان نيكولا جاسير رجلاً طويل القامة بدين الجسم ، ضامرالوجه يمارس فى حى الانفاليد مهنة رجال الأعمال ، ويجمع حوله زمرة هامة من العملاء الذين يعهدون إليه بمدخراتهم ، ويقدم لهم أرباحاً طيبة بفضل مضارباته فى البورصة ، وبعض الأعمال الربوية المستترة .

كان يقطن فى شقة بالطابق الأول من بيت عتيق يملكه ، وتتكون من صالة وغرفة وحجرة طعام واستشارة فى نفس الوقت يعمل فيها ثلاثة من الموظفين ، وتفضى فى آخرها الى المطبخ .

كان رجلاً مقتصداً جداً ، فلم يلجأ الى خادمة ما وانما كانت البوابة تأتيه فى الساعة الثامنة من كل صباح برسائله ، وهى امرأة بدينة ومرحة ، وتقوم بشئون بيته ، وتضع كل صباح ، على مكتبه فنجاناً من القهوة وبعض البسكويت .

وفى ذلك الصباح انصرفت فى الثامنة والنصف .. وتناول مسيو جاسير طعامه فى هدوء فى انتظار موظفيه ، وفض رسائله ، وتصفح جريدته وفجأة

وفى التاسعة إلا خمس دقائق بالتدقيق خيل اليه أنه يسمع حركة فى غرفته . وتذكر ربطة السندات التى تركها فيها فانطلق مسرعاً .. لم تكن الربطة موجودة .. وانصفق باب الصالة فى نفس الوقت ، فى عنف ، وأراد ان يفتحه ولكن الباب كان من تلك الأبواب التى لا يمكن فتحها إلا بالمفتاح . وكان قد ترك المفتاح على المكتب ، وقال يحدث نفسه .

– لو ذهبت لكى آتى به فان السارق سيتمكن من الهرب من غير أن أراه .

وعلى ذلك فتح مسيو جاسير نافذة الصالة التى تطل على الشارع .. وفى تلك اللحظة ، كان من المستحيل تماماً أن يجد اى احد متسعاً من الوقت لمغادرة البيت .. والواقع ان الشارع كان مقفراً .. ورغم ارتياعه لم يصرخ لطلب النجدة .. ولكن ، بعد لحظات رأى موظفه الرئيس يأتى من الشارع المجاور ، فى طريقه الى البيت فأشار اليه وقال له وهو ينحنى :

– أسرع .. أسرع يا سارونا .. اغلق الباب ولا تدع أحدا يخرج ، فقد سرقت .

وما ان نفذ الموظف الأمر الذى صدر إليه حتى هبط مسيو جاسير وهو يلهث ، وفى حالة شديدة من الاضطراب .

– حسنا يا سارونا .. ألم يخرج أحد ؟

– كلا يا مسيو جاسير .

وأسرع الى غرفة البوابة ، وتقع بين السلم وحوش مظلم ، وكانت تكنس . وصاح :

– سرقونى يا مدام آلان .. ألم يختبئ أحد عندك ؟

المرأة البدينة مشدوهة :

– كلا يا مسيو جاسير .

– اين تضعين مفتاح مسكنى ؟

– هنا يا مسيو جاسير ، خلف الساعة .. ولكن لم يستطع أى أحد أن يأخذه ، لأننى لم أنتقل من غرفتى منذ نصف ساعة .

– إذن فقد صعد اللص السلم بدلاً من أن يهبط .هذا فظيع .

وعاد مسيو جاسير الى باب البيت .. كان الموظفان الآخران قادمين . وأسرع فأصدر إليهما تعليماته لا يجب ان يدخل أحد أو أن يخرج حتى عودته ، وقال :

– هل فهمت يا سارونا ؟

وأسرع فارتقى السلم .. ودخل مسكنه .. وقال وهو يمسك سماعة التليفون :

– آلو .. ادارة الأمن .. ولكننى لم أطلب منك ادارة الأمن يا آنسة .. اننى اطلب مقهى إدارة الأمن .. الرقم ؟ .. لا أعرفه .. اسرعى .. اسألى الاستعلامات .. اسرعى يا آنسة .

وافلح أخيراً فى الاتصال بصاحب المقهى وقال له :

– هل المفتش بيشو موجود ؟ دعه يحدثنى .. حالاً ، أسرع . انه أحد عملائى . .لا يجب ان تضيع دقيقة واحدة .. آلو ؟ .. المفتش بيشو ؟ .. مسيو جاسير يتكلم .. نعم يا بيشو ، صحتى على ما يرام .. أو على الأصح كلا .. سرقوا ربطة السندات .. انا فى انتظارك .. ايه ؟ ماذا ؟.. مستحيل ؟ سترحل فى أجازة ؟ ولكننى لا أحفل بأجازتك .. اسرع بالمجئ يابيشو ..

ان مستنداتك الاثنى عشر للمناجم الافريقية بين السندات التى سرقت .

* * *

سمع مسيو جاسير فى آخر لحظة كلمة "ياالشيطان" فاطمأن كل الاطمئنان وأدرك أن المفتش بيشو سيسارع بالقدوم .. وفعلاً ، أقبل بيشو بعد خمس عشرة دقيقة وقد انقلبت سحنته ، وانقض على رجل الأعمال قائلاً

– سنداتى الاثنا عشر .. كل مدخراتى .. اين هى ؟

– سرقت ومعها سندات عملائى ، ومعها كل سنداتى انا الآخر .

– سرقت ؟

– نعم .. من غرفتى ، منذ نصف ساعة .

– يا للشيطان ! ولكن ماذا كانت مستنداتى تفعل فى غرفتك ؟

– سحبتها أمس من الكريدى ليونيه لكى أعهد بها الى أحد المصارف الأخرى ، فقد رأيت ذلك أدعى الى الاطمئنان ، ولكننى اخطأت .

ألقى بيشو يدا من حديد على كتفه وقال :

– انت المسئول ياجاسير .. سوف تسدد لى ثمنها

– من أين ؟ .. اننى أفلست .

– أفلست ؟ .. وهذا البيت ؟

– مرهون .

وراح الرجلان يثبان ويصرخان ، الواحد أمام الآخر .. وفقدت البوابة والموظفون الثلاثة عقولهم هم الآخرون .. وسد الطريق أمام فتاتين ، يقطنان فى الطابق الثالث ، أرادا الخروج من البيت .

وصاح بيشو وهو خارج عن طوره :

– لن يخرج أحد قبل أن نعثر على سنداتى الاثنى عشر .

اقترح جاسير :

ربما نحتاج الى مساعدة .. هناك الجزار والبدال ، وهما رجلان يوحيان بالثقة .. قال بيشو :

لا أريد أحدا منهما .. اذا كان ولابد من مساعد فسأتصل تليفونياً بمكتب بارنيت بشارع لابورد ، ثم نقدم شكوى.. ولكن ذلك سيكون وقتاً ضائعاً .. لابد من العمل على الفور .

وحاول أن يتماسك ، وأن يبدو هادئاً كما يجب أن يكون مفتش البوليس ، ولكن حركاته العصبية وتوتر فمه فضحا اضطرابه الشديد .. وقال يخاطب جاسير :

– تشجع .. لم يضع كل شئ بعد ، فلم يخرج أحد ، ولابد إذن من أن نعثر على مستنداتى الاثنى عشر قبل أن تخرج من البيت .. هذا هو المهم .

واستجوب الفتاتين ، وإحداهما تعمل على الآلة الكاتبة وتنسخ فى بيتها بعض النشرات والتقارير ، أما الأخرى فتعطى دروساً فى العزف على الناى فى بيتها هى الأخرى .. وكانت كل منهما تريد أن تخرج لشراء لوازمها لأجل الغداء .. وقال بيشو فى صرامة .

– آسف .. ولكن سيبقى باب البيت هذا الصباح مقفلاً .. ليحرسه رجلان من رجالك يا مسيو جاسير .. أما الثالث فسيقوم بشراء لوازم السكان ، ويستطيع هؤلاء الخروج بعد الظهر ، ولكن بتصريح منى .. وسنقوم بتفتيش كل طرد وكل ربطة وكل سلة تفتيشاً دقيقاً .. هذه هى الأوامر ياسيد جاسير

أما نحن ، فالى العمل ، وسوف ترشدنا البوابة .

فقد سهل وضع المنزل عملية البحث .. ثلاثة طوابق ، فى كل طابق مسكن واحد أى اربعة طوابق بالطابق الأرضى ؛ ولم يكن مسكوناً فى ذلك الوقت ويقيم بالطابق الثانى مسيو توفيمون ، وهو نائب ووزير سابق .. وفى الطابق الثانى وكان مقسماً الى قسمين ، تقيم فى قسم منه الآنسة ليجوفييه الكاتبة على الآلة الكاتبة ، وفى القسم الثانى الآنسة هافيلان ، مدرسة الناى .

كان مسيو توفيمون النائب قد خرج فى الساعة الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم . ومضى الى المجلس حيث كان يرأس إحدى اللجان .. ولم تكن الشغالة التى تقوم بشئون بيته تأتى إلا فى الظهر .. اثناء الغداء ، وانتظروا عودته .. ولكن تعرض مسكنا الآنستين لتفتيش دقيق ، ثم فحصوا جميع أركان السطح ، ثم الحوش فمسكن مسيو نيكولا جاسير نفسه .

ولم يهتدوا الى شئ . وراح بيشو يفكر فى سنداته الاثنى عشر فى مرارة

* * *

أقبل مسيو توفيمون النائب نحو الظهر ، وهو رجل وقور ، وفى يده حافظته .. وكان معروفاً عنه أنه رجل نشيط ومجتهد ، تحترمه كل الاحزاب . وكانت استجواباته فى المجلس نادرة ولكنها قاطعة تثير بلبلة الحكومات . مضى بخطوات ثابتة وأخذ رسائله من البوابة ، وهناك لحق به جاسير ، وأخبره بالسرقة التى راح ضحية لها .

أصغى النائب توفيمون إليه فى اهتمام شديد .. ووعده بمساعدته اذا ما فكر فى تقديم شكوى ، وأصر على أن يقوم بيشو بتفتيش مسكنه قائلاً :

- من يدرى ، لعل أحدهم دخل بمفتاح مصطنع .

ولم يسفر التفتيش عن شئ .. وبدأت القضية تتخذ مساراً سيئاً .. وراح كل من الرجلين يواسي الآخر بعبارات مشجعة بدت متكلفة بعض الشئ .

وقررا أن يتناولا الطعام في مقهى صغير يقع أمام البيت بحيث لم يغب عن ناظريهما .. ولكن بيشو لم يكن جائعاً ، فقد كانت سنداته الاثنا عشر تثقل على معدته .. واشتكى جاسير من دورا ، وأعاد كل منهما السؤال على الآخر على أمل اكتشاف أي شئ .

قال بيشو :

– الأمر بسيط جداً .. دخل بعضهم مسكنك وسرق السندات ، وحيث أنه لم يستطع الخروج فذلك معناه انه لا يزال بالبيت .

وافقه جاسير قائلاً :

– طبعاً .

– واذا كان لايزال في البيت فمعنى ذلك ان سنداتي الاثنى عشر موجودة به هي الأخرى .. ان السندات الاثنى عشر لا يمكن ان تمر من خلال الجدران والأسقف .

قال نيكولا :

– بل ان الربطة كلها لا يمكن أن تختفي هكذا .

واستطرد بيشو :

– ونصل اذن الى الحقيقة الثابتة التي تستند على.

ولم يفرغ من عبارته ، فقد ارتسم في عينيه ذعر مفاجئ ، كان ينظر الى الناحية الأخرى من الشارع حيث هناك كان رجل يتقدم نحو البيت في

خطوات مرحة ، وتمتم :

– بارنيت ؟ .. ولكن من الذى أخبره ؟

واعترف جاسير فى شئ من الارتباك :

– انك حدثتنى عنه وعن مكتب بارنيت بشارع لابورد .. وقد خطر لى ، فى هذه الظروف القاسية ان مكالمة تليفونية قد تكون مجدية .

غمغم بيشو :

– ولكن هذه حماقة .. من الذي يدير التحقيق ؟ .. انا أم انت ؟ لا دخل لبارنيت فى هذه المسألة .. انه رجل دخيل ، يجب توخى الحذر منه .. آه . كلا .. لا أريد بارنيت .

بدت له مساعدة بارنيت فجأة اكثر الأشياء خطورة فى العالم .. جيم بارنيت فى البيت .. جيم بارنيت مشترك فى هذه القضية .. كان معنى ذلك على كل حال نهاية التحقيق واختفاء السندات وعلى الخصوص سنداته الاثنى عشر .

اجتاز الشارع وهو يغلى من الغضب .. واذ هم بارنيت بأن يطرق الباب ، وقف أمامه وقال فى صوت خافت ومتهدج :

– انصرف .. لا حاجة لنا بك .. انك استدعيت خطأ ، فانصرف حالاً ودعنا فى سلام .

نظر بارنيت إليه فى دهشة وقال :

– أيها العزيز بيشو ! .. ماذا بك ؟ .. يبدو أنك على غير مايرام .

– عد من حيث أتيت .

– إذن فالأمر جد خطير ، كما قيل لى فى التليفون .. سرقوا مدخراتك ! اذن فأنت لا تريد مساعدة صغيرة ؟

قال بيشو متذمراً :

– انصرف .. اننا نعرف معنى مساعدتك الصغيرة .. ان مساعدتك هذه معناها الأغتراف من جيوب الغير .

– هل انت خائف على سنداتك ؟

– نعم ، اذا انت تدخلت .

– لا داعى للكلام اذن .. لك أن تدبر أمرك .

– هل تنصرف ؟

– أبداً .. إن لى عملاً فى البيت .

وكان جاسير قد اقترب منهما وفتح الباب ، فقال له :

– عفواً ياسيدى . أهنا تقيم الآنسة هافيلان ، مدرسة الناى ، الحائزة على جائزة معهد الموسيقى .

احتد بيشو وقال :

– نعم .. انك تسأل عنها لأنك ترى عنوانها على اللافتة .

قال بارنيت :

– وبعد ؟ .. أليس لى الحق فى أن آخذ دروساً فى العزف على الناى ؟

– ليس هنا .

– اننى آسف . ولكننى مغرم بالعزف على الناى .

– اننى أعترض كل الاعتراض .

– لا شأن لى باعتراضك .

ومر بالقوة ، دون أن يجرؤ أحد على اعتراضه .. ورآه بيشو وهو فى غاية القلق يصعد السلم .. وبعد عشر دقائق كان قد عقد الاتفاق مع الآنسة هافيلان ، فقد تناهى من الطابق الثالث صوت العزف على الناى .. وتمتم بيشو وقد ازداد قلقه على سنداته الاثنى عشر :

– ياللوغد .. أين نمضى مع هذا الحيوان .

واستأنف العمل فى غضب شديد وقاموا بتفتيش الطابق الأرضى غير المسكون ، وكذلك غرفة البواب ، حيث كان من الممكن ، عند الضرورة ، التخلص من رزمة السندات .. ولكن جهودهم ضاعت سدى ومع ذلك فقد استمر العزف على الناى فى الطابق العلوى ، وكان عزفاً أثار أعصاب بيشو وبلبل أفكاره وأخيراً ، وفى نحو الساعة السادسة ، ظهر بارنيت وفى يده علبة كبيرة من الكرتون .. علبة ! .. وأطلق بيشو صيحة سخط وأمسك بالعلبة وانتزع غطاءها .. كان بداخلها قبعات قديمة وفرو اكلته العتة .. وقال بارنيت بلهجة الجد :

– حيث ان الآنسه هافيلان لا حق لها فى الخروج ، فقد طلبت منى أن ألقى بكل هذا فى صندوق القمامة .. ان الآنسة هافيلان جميلة جداً كما تعلم ، وهى بارعة فى العزف على الناى ، وتزعم ان عندى استعداداً عجيباً ، واننى إذا واصلت التدريب فقد أستطيع أن أقف على باب إحدى الكنائس وأتسول بواسطة العزف على الناى .

* * *

بقي جاسير وبيشو يقومان بالحراسة طوال اليوم ، أحدهما بالداخل والآخر فى الخارج ، حتى لا يتمكن أحد من إلقاء ربطة السندات من النافذة الى شريك له .. واستأنفا العمل فى صباح اليوم التالى ، ولكن دون اى تقدم فان السندات الاثنى عشر الخاصة بأحدهما والسندات الباقية الخاصة بالآخر لم يظهر لها أى أثر .

وفى الساعة الثالثة أقبل جيم بارنيت من جديد ، والعلبة الفارغة فى يده . وبعد أن ألقى بتحيته الساخرة مضى رأسا إلى الطابق الثالث .. كما لو انه يمضى الى عمل يشغل كل اهتمامه .

وبدأ درس العزف على الناى .. سلسلة من الأنغام ، وتمارين .. وعلامات موسيقية غير سليمة ، ثم صمت طويل لا معنى له الأمر الذى أثار حيرة بيشو الى اكبر حد ، وتساءل :

– ماذا يفعل بحق الشيطان ؟

وتصور أبحاثاً طويلة يقوم بها بارنيت سوف تنتهى إلى نتائج غريبة . وصعد الطوابق الثلاثة ، وأرهف سمعه .. لم يسمع أى صوت فى مسكن مدرسة العزف على الناى ولكنه سمع صوت رجل ، عند جارتها ، الآنسة ليجوفييه ، الكاتبة على الآلة الكاتبة وقال بيشو يحدث نفسه وقد استبد به الفضول :

– هذا صوته .

ولم يستطع أن يتمالك نفسه أكثر من ذلك فطرق الباب .. وقال بارنيت من الداخل :

– ادخل .. الباب غير مغلق .

دخل بيشو .. كانت الآنسة ليجوفييه ، وهى سمراء جميلة ، جالسة أمام الآلة الكاتبة ، وتختزل على بعض الأوراق المتفرقة كلمات بارنيت .. وقال هذا الأخير :

– هل تأتى للتفتيش ؟ .. لا تزعج نفسك .. ليس لدى الآنسة ما تخفيه ، وانا كذلك .. اننى أملى عليها مذكراتى .. هل تسمح ؟

واستطرد يقول وبيشو ينظر تحت قطع الأثاث :

– وفى هذا اليوم وجدنى المفتش بيشو لدى الآنسة ليجوفييه الظريفة ، بعد أن أوصتها عازفة الناى بى .. وراح يبحث عن مستنداته الاثنى عشر التى لا تريد أن تظهر .. ووجد بعض الغبار تحت الأريكة ، وفردة حذاء تحت الدولاب .. والمفتش بيشو لا يهمل أية نقطة .. وانها لمهنة بغيضة .

نهض بيشو ولوح بقبضته نحو بارنيت وشتمه .. واستطرد هذا الأخير املاءه ولم يسع بيشو إلا أن ينصرف .

وبعد قليل ، هبط بارنيت ومعه علبة .. وكان بيشو يقوم بالحراسة فتردد ، ولكنه كان شديد القلق ففتح العلبة ، ولم يكن بها غير أوراق قديمة وبعض الخرق .

وأصبحت الحياة لا تطاق بالنسبة لبيشو المسكين .. فان وجود جيم بارنيت ، وسخريته ، ومداعباته كانت تجعله يغلى من الغضب ، فقد كان بارنيت يعود كل يوم ، وبعد درس الناى أو املاء مذكراته يخرج بعلبته فماذا يفعل ؟ لم يكن بيشو يجهل أن ذلك مقلب جديد وأن بارنيت يسخر منه . ولكن ماذا لو أنه فى تلك المرة يخرج بالمستندات ، ويهرب بسنداته الاثنى عشر .. ماذا لو ينتظر الفرصة لكى ينقل غنيمته .. وهكذا ، راح يفتش

ويفرغ ويدس يداً محمومة فى أشد الأشياء غرابة خرق ممزقة أو أسمال بالية ، أو مكانس مكسورة ، وقشور برتقال أو جزر .. وبارنيت يضحك ملء فيه فى كل مرة .

" السندات موجودة .. السندات غير موجودة .. هل سيجدها .. أم لا .. آه يالمسكين بيشو ! شد ما يضحكنى " .

واستمر هذا الحال اسبوعاً كاملاً .. وضاعت على بيشو أثناء ذلك النضال غير المتكافئ كل أجازته ، فضلاً عن أنه بدا مثيراً للضحك والسخرية فى الحى كله ، فلا هو ولا جاسير استطاعا منع السكان رغم تفتيشهم لهم من المضى الى أعمالهم ولا التهكم عليهم .. وكان لمغامرة جاسير المزعجة وقعها وتأثيرها ، فقد خاف عملاؤه وحاصروا مكتبه وطالبوه بأموالهم .. وكان النائب توفيمون والوزير السابق قد اعتاد الخروج من بيته والعودة إليه أربع مرات كل يوم .. وأزعجه هذا الغليان ، وطالب نيكولا جاسير بابلاغ البوليس ، فما كان لهذا الموقف أن يستمر اكثر من ذلك .

ولكن حادثا مفاجئاً قلب الأوضاع ، ففى أصيل أحد الايام سمع بيشو وجاسير عراكاً عنيفاً فى الطابق الثالث .. صراخ وصياح نساء .. وكان الأمر يبدو خطيراً .. وصعدا الطوابق الثلاثة سريعاً .. كانت الآنسة هافيلان والآنسة ليجوفييه مشتبكتين وتتعاركان فى عنف دون أن يفلح بارنيت ، الذى كان يطربه الأمر رغم ذلك ، فى التغلب عليهما .. فقد تهدل شعر كل منهما وتمزق ثوباهما . وراحت الفاظ السباب والشتائم تتوالى .

فرق بيشو بينهما ، وأصيبت الضاربة على الآلة الكاتبة بأزمة عصبية ، واضطر بارنيت أن يحملها الى مسكنها بينما أعربت مدرسة الناى عن

غضبها قائلة وهى تكاد تصرخ :

– اننى فاجأتهما معا وهو يقبلها مع أنه بدأ بمغازلتى انا .. ان بارنيت هذا رجل غريب الأطوار .. يجب أن تسأله يامسيو بيشو عما يدبره هنا منذ ثمانية أيام ، ولماذا يقضى وقته فى استجوابنا ، وفى التفتيش فى كل مكان واليك هذا .. أستطيع أن أقول لك أنه يعرف من الذى سرق .. انها البوابة . نعم ، مدام آلان .. لماذا منعنى من أن أقول لك ذلك .. ثم أنه يعرف الحقيقة بخصوص السندات ، والدليل على ذلك انه قال :

– انها فى البيت دون أن تكون فيه .. و " هى ليست فى البيت مع أنها فيه . " كن على حذر منه يامسيو بيشو .

وكان جيم بارنيت قد فرغ من الضاربة على الآلة الكاتبة ، فأمسك بالآنسة هافيلان ودفعها نحو غرفتها فى حزم قائلاً :

– هيا أيتها الاستاذة العزيزة .. كفى عن الاشاعات والثرثرة ، ولا تتحدثى عما لا يخصك فيما عدا الناى .

ولم ينتظر بيشو عودته ، فان كلمات الآنسة هافيلان عما يعتقده بارنيت جلت غموض القضية فى ذهنه .. نعم ، كانت مدام آلان البوابة هى المذنبة ، فكيف لم يخطر له ذلك من قبل ؟ وهبط السلم وقد أغضبه هذا الاعتقاد ، يتبعه نيكولا جاسير ، وأسرع الى غرفة البوابة :

– سنداتى .. أين هى .. انت التى سرقتها .

ووصل نيكولا جاسير بدوره ، وصاح :

– سنداتى .. ماذا فعلت بها أيتها السارقة .

وراح كل منهما يهز المرأة الضخمة ، وكل منهما يشدها من أحد

ذراعيها ويلاحقانها بالأسئلة والسباب .. ولكنها لم ترد فقد بدت مذهولة

وكانت ليلة فظيعة بالنسبة لمدام آلان ، تبعها يومان لا يقلان عنها قسوة . لم يشعر بيشو لحظة واحدة ان جيم بارنيت أخطأ .. ثم ان الحقائق اتخذت معناها الحقيقى على ضوء ذلك الاتهام .. فان البوابة ، وهى تقوم بعملها لاريب قد لحظت وجود ربطة السندات فوق الطاولة بجوار الفراش ، وانها هى وحدها التى تملك مفتاح المسكن ، واستطاعت ، طبقا لمعرفتها عادات مسيو جاسير أن تأخذ الربطة وأن تسرع الى غرفتها ، حيث وجدها جاسير .

ولكن بيشو حبطت همته وراح يقول :

– نعم .. هى هذه المرأة اللئيمة التى سرقت السندات .. ولكن السر مازال غامضاً . .لا يهم أن تكون البوابة هى التى سرقت أو أى أحد غيرها طالما لم نعرف ماذا حدث لسنداتى الاثنى عشر .. اننى أسلم طبعاً أنها أخذتها الى غرفتها ، ولكن بأية معجزة خرجت السندات منها فيما بين الساعة التاسعة والساعة التى فتشنا فيها غرفتها .

رفضت المرأة الافصاح عن ذلك السر رغم التهديدات ورغم الآلام المعنوية التى تعرضت لها .. انكرت كل شئ .. ولم تر شيئاً، ولم تعرف شيئاً ، ورغم أنه لم يكن هناك أى شك فى اجرامها إلا انها بقيت صلبة عنيدة .

وقال جاسير ذات يوم لبيشو :

– يجب أن نفرغ من هذه المسألة .. انك رأيت ان النائب توفيمون أسقط الوزارة مساء أمس .. وسيأتى الصحفيون لمقابلته فهل نستطيع تفتيشهم ؟ .

اعترف بيشو بأن الأمر متعذر .. وقال فى توكيد :

– سأعرف كل شئ بعد ثلاث ساعات .

وبعد ظهر ذلك اليوم مضى وطرق باب مكتب بارنيت .

* * *

– كنت فى انتظارك يا بيشو ، فماذا تريد ؟

– مساعدتك .. فلم أعد أفهم شيئا .

كان الرد صريحاً . وأقر بيشو بفشله .

أسرع بارنيت إليه ، وأمسكه من كتفيه فى مودة ، وضغط على يده ، ووفر عليه فى رفق كبير مرارة الفشل .. ولم يكن الحديث حديث غالب ومغلوب ، وانما مصالحة بين زميلين .

– الحق يا عزيزى بيشو أن سوء التفاهم البسيط الذى وقع بيننا آلمنى كثيرا ، زميلان مثلنا يصبحان عدوين ! انه لأمر محزن وقد جافانى النوم .

قطب بيشو جبينه . فى ضميره البوليسى كان يلوم نفسه كل اللوم لعلاقاته الطيبة ببارنيت .. وأحنقه أن القدر جعل منه المساعد والمدين لهذا الرجل الذى يعتبره نشالاً ونصاباً . ولكن هناك للأسف ظروف يضعف فيها أشرف الرجال .. وخسارة الاثنى عشر سنداً من بين تلك الظروف .

وتمتم وهو يغالب وخز ضميره :

– هى البوابة حقا ، أليس كذلك ؟

– هى ، وذلك بسبب وجيه وهو انه ليس هناك من يمكن الاشتباه فيه غيرها .

– ولكن كيف يمكن لهذه المرأة المحترمة – حتى ذلك الوقت أن تقدم على ذلك العمل .

– لو اننى اتخذت الاحتياطات الأولية واستعلمت عنها لعرفت ان تلك المرأة المسكينة قد ابتليت بابن هو من أسوأ الأوغاد يبتز منها كل أموالها وقد استسلمت للاغراء من أجله .

اجفل بيشو وقال وهو يرتعش :

– وهل أفلحت فى تسليمه سنداتى ؟

– اوه ، إلا هذا .. ما كنت لأسمح بذلك . ان سنداتك الاثنى عشر مقدسة

– أين هى اذن ؟

– فى جيبك .

– لا تمزح .

– انا لا أمزح يا بيشو عندما يتعلق الأمر بمثل هذه الأمور الخطيرة . تحقق بنفسك .

دس بيشو يدا فى الجيب الذى أشار إليه بارنيت فى شئ من الحياء ، وجسه ، وأخرج منه مظروفا ضخما عليه هذه الكلمات "الى صديقى بيشو" وفض المظروف وامتقع وتخاذلت ساقاه ، واشتم زجاجة من الكولونيا ادناها بارنيت من أنفه وهو يقول :

– استنشق يا بيشو ولا تدع الاغماء يتغلب عليك .

لم يفقد بيشو رشده ، ولكنه جفف بضع عبرات سالت على خده ، وخنقت الازمة والانفعال حلقه .. لم يشك طبعاً فى أن بارنيت دس المظروف فى

جيبه بمجرد وصوله .. ولكن السندات الاثنى عشر كانت بين يديه المرتعشتين ، وبدا له أن بارنيت ليس نشالاً أبداً .

واسترد قواه فجأة ، وراح يقفز ويرقص رقصة اسبانية على ايقاعات وهمية .

– لقد استعدتها .. سنداتى الاثنى عشر .. آه يا بارنيت . انك لرجل عظيم لا يوجد فى العالم قرين لك .. لا يوجد إلا بارنيت ، منقذ بيشو .. ولكن كيف استطعت أن تفلح بحق الشيطان ؟ تكلم.

* * *

مرة أخرى ، أدهشت بيشو الطريقة التى أنهى بها بارنيت الأحداث وسأله يدفعه فضوله الجهنمى :

– واذن يا بارنيت ؟

– ماذا تعنى ؟

– آه . . كيف اكتشفت كل ذلك .. أين كانت الربطة .. هل تقول انها كانت فى البيت من غير أن تكون فيه ؟

– وخارج البيت مع أنها موجودة فيه .

وكانت لمداعبة بارنيت أثرها فقد توسل بيشو اليه قائلاً :

– تكلم .

– هل تقر بعجزك ؟

– بكل ما تشاء .

– وستتخلى عن استهجاناتك لى للتفاهات التى تصدر منى .. تلك

الاستهجانات التى تثير حزنى وتجعلنى أعتقد أننى أحيد فى بعض الأحيان عن الطريق القويم ؟

– تكلم يا بارنيت .

صاح هذا الأخير :

– آه .. انها لقصة ظريفة ، رغم اننى أحذرك يا عزيزى بيشو بأنك لن تشعر بأية خيبة أمل ، فاننى لم ألتق فى حياتى كلها بأجمل وأغرب وأمكر من هذه القصة ، وهى من البساطة بحيث أنك انت يا بيشو ، مع ما عرف عنك من ذكائك وموهبتك لم تفهم فيها شيئاً .

قال بيشو وقد تملكه الاستياء :

– ولكن تكلم .. كيف خرجت ربطة السندات من البيت ؟

– تحت بصرك يا عزيزى بيشو .. ولم تخرج من البيت فحسب وانما عادت إليه .. وقد راحت تخرج منه مرتين وتدخله ثانية مرتين كل يوم ، وتحت بصرك يا بيشو .. أمام عينيك الساذجتين . وكيف تنحنى أمامها بكل احترام طوال عشرة أيام .. كانت تمر أمام عينيك بكل بساطة .

صاح بيشو :

– ما هذا الهذر ؟ .. هذه حماقة ، فقد كنا نفتش كل شئ .

– كنت تفتش كل شئ إلا هذا .. الطرود والعلب وحقائب اليد والجيوب والقبعات والمعلبات .. وفى المطارات يفتشون كل المسافرين ولكنهم لا يفتشون الحقائب الدبلوماسية .. وهكذا ، فتشت انت كل شئ إلا هذا .

صاح بيشو وقد عيل صبره :

– ماذا تعنى ؟

– أراهنك انك لن تخمن ذلك أبداً .

– تكلم بحق الشيطان .

– حافظة الوزير الأسبق .

وثب بيشو من مقعده وقال :

– ايه ؟ .. ماذا تقول يا بارنيت ؟ هل تتهم النائب توفيمون ؟

– هل جننت ؟ .. وهل أستطيع أن أسمح لنفسى وأتهم نائب ؟ أولاً لأن النائب والوزير الأسبق لا يمكن أن يكون عرضة للشبهة .. ومن بين جميع النائبين وكل الوزراء السابقين ، ويعلم الله أنهم كثيرون ، فاننى أعتبر توفيمون أبعدهم كلهم عن الشبهة .. ولكن هذا لم يمنع من أنه أخفى مسروقات مدام آلان .

– شريك اذن ؟ .. أيكون النائب توفيمون شريكا ؟

– ولا حتى هذا .

– من تتهم اذن ؟

– من أتهم ؟

– نعم .

– حافظته .

وأردف يقول فى مرح وفى صوت هادئ :

– ان حافظة الوزير يا بيشو مهمة جداً ، فهناك فى العالم مسيو توفيمون وهناك حافظته ، ولا يفترق الواحد عن الآخر ، وكل منهما مرتبط بالآخر ، فلا يمكنك أن تتصور مسيو توفيمون من غير حافظته ، ولا حافظة مسيو

توفيمون من غيره هو .. ولكن يحدث أن يضع مسيو توفيمون حافظته بجواره أحياناً ، لكي يأكل مثلا ، أو لكي ينام ، أو لكي يقوم بحركة من حركات الحياة العادية .. وفي تلك اللحظات تتخذ حافظة مسيو توفيمون كينونة خاصة ، ويمكن أن تقع لأحداث لا يسأل عنها مسيو توفيمون أبداً .. وهذا ما حدث صباح يوم السرقة .

نظر بيشو الى بارنيت وهو يتساءل ماذا يعني .. وعاد بارنيت يقول :

– هذا ماحدث صباح اليوم الذى اختفت فيه سنداتك الاثنا عشر ، فقد استولى الذعر على البوابة بسبب السرقة التى ارتكبتها، وأزعجها الخطر الذى يقترب ، ولم تدر كيف تتخلص من غنيمة ستتسبب فى هلاكها ، ورأت فجأة فوق مدفأتها حافظة مسيو توفيمون ، وكأن القدر قد أرسلها إليها .. كان مسيو توفيمون قد دخل غرفتها لكي يأخذ رسائله ، وألقى حافظته فوق المدفأة ، وراح يفض رسائله فى نفس الوقت الذى رحت فيه انت يا بيشو ، ومعك نيكولا جاسير تذكران له اختفاء السندات .. وعندئذ خطرت فكرة عظيمة لمدام آلان ، فقد كانت ربطة السندات هى الأخرى فوق المدفأة ، بجوار الحافظة تخفيها بعض الجرائد ، ولم تكن الغرفة قد فتشت بعد ، ولكنها سوف تفتش وسوف يعثرون على السندات ، وفى الحال .. وفى بضع حركات أولتكم ظهرها وفتحت الحافظة وأفرغت إحدى خانتيها من أوراقها ودست فيها ربطة السندات . ولم ير أحد شيئا أو يشتبه فى أى شئ . وعندما انصرف مسيو توفيمون ، وحافظته تحت إبطه ، انصرفت سنداتك الاثنا عشر وكل سندات جاسير .

لم يبد بيشو أى احتجاج ، فان بارنيت عندما يؤكد فى اقناع تام ، لا يسعه إلا أن يعترف بالحقيقة ، ويصدق كل ما يقول .. وقال :

– الحق اننى رأيت فى ذلك اليوم حزمة من الاوراق والتقارير، ولم أعرها أى اهتمام .. ولكن لاريب أنها أعادت تلك الاوراق وتلك التقارير الى مسيو توفيمون بعد ذلك ؟

– لا أعتقد ذلك .. لاريب أنها أحرقتها حتى لا تلفت إليها الانظار .

– ولكن لاريب أنه طالبها بها .

– كلا .

– كيف ذلك ؟ .. ألم يكتشف اختفاء تلك الربطة من المستندات ؟

– كلا .. ولم يكتشف كذلك وجود ربطة السندات .

– ولكن عندما فتح الحافظة ؟

– انه لم يفتحها .. وهو لا يفتحها أبداً .. ان حافظة توفيمون كغيرها من حافظات الكثيرين من الرجال السياسين ما هى إلا خدعة وهيئة وتنكير بالنظام .. لو أنه فتحها لطالب بمستنداته ولأعاد السندات .. ولكنه لم يطالب بشئ ولم يرد أي شئ .

– ولكن عندما اشتغل مع ذلك ؟

– انه لا يشتغل وليس مضطراً للعمل لأن معه حافظة .. يكفى أن تكون معه حافظة وزير سابق لكيلا يعمل .. فان الحافظة بديل للعمل والسلطة والنفوذ والقدرة والمعرفة بكل شئ .. وعندما مضى مسيو توفيمون أمس الى مجلس النواب ، وقد حضرت انا نفس تلك الجلسة وأتكلم عن علم ، ألقى حافظته على المنصة ، وأحس الوزير بأنه هالك ، فان حافظة النائب المجتهد لابد أن تكون حافلة بمستندات دامغة وبأرقام واحصائيات .. وفتحها توفيمون ولكنه لم يخرج من خانتيها المنتفختين شيئاً .. وراح من

وقت لآخر ، وهو يتكلم يضرب بيده على الحافظة وكأنه يقول : كل شئ هنا ، ولكن لم يكن هناك أى شئ غير سندات بيشو الاثنى عشر ، وسندات جاسير وأوراق قديمة .. لم يكن فى الحافظة أى شئ آخر ومع ذلك فقد أسقطت الحكومة .

– ولكن كيف تعرف كل ذلك ؟

– لأنه عند خروجه من مجلس النواب ، فى الواحدة صباحاً، وبينما كان عائداً الى بيته على قدميه أصطدم به رجل صدفة وأوقعه أرضاً .. وأسرع رجل آخر ، شريك للرجل الأول فالتقط الحافظة ، وأسعفه الوقت لكى يحشوها باوراق قديمة بدلا من السندات التى استولى عليها .. هل انا بحاجة الى أن أقول لك اسم ذلك الرجل الثانى ؟

* * *

ضحك بيشو من طرف خفى ، فقد راقت له القصة ، كما راقت له مغامرة توفيمون ، خاصة بعد أن أصبحت سنداته الاثنا عشر فى جيبه .

ودار بارنيت حول نفسه فى مرح وقال :

– هذا هو السر كله يا صديقى العزيز .. ولكى اكتشف تلك الحقائق الغريبة ، ولكى استنشق هواء البيت وأتزود بالمعلومات ، أمليت مذكراتى ، وأخذت دروساً فى العزف على الناى ، وكان أسبوعا ظريفاً .. غزل فى الطابق الثالث ومرح ولهو فى الطابق الأرضى .. جاسير وبيشو وتوفيمون .. دمى صغيرة رحت أحرك خيوطها كما يحلو لى .. ولكن الأمر الذى ضايقنى جداً هو الإقرار بأن توفيمون كان يجهل تحركات حافظته الاجرامية ، وأنه كان يتأبط دون أن يدرى سنداتك الاثنى عشر .. حيرتنى هذه النقطة .. ثم

البوابة ! كان الأمر مفاجأة كبيرة لها ، ففى قرارة نفسها لابد أنها كانت تعتبر توفيمون كما لو كان آخر المختلسين ، ومازالت تعتقد انه استحوز على الاثنى عشر سندا والسندات الأخرى .. مسكين مسيو توفيمون !

سأله بيشو :

– هل يجب أن أخبره ؟

– وما الجدوى ؟ .. دعه يحمل معه تلك الجرائد القديمة وان يطمئن على حافظته .. ولا كلمة عن هذه القصة لأى أحد يا بيشو .

قال بيشو :

– فيما عدا السيد جاسير طبعاً ، إذ أننى يجب أن أطلعه على الحقيقة وانا أعيد له سنداته .

قال بارنيت :

– أية سندات ؟

– ولكن السندات التى تخصه والتى وجدتها انت فى حافظة توفيمون .

– آه .. هل جننت يا بيشو ؟ هل تتصور ان مسيو جاسير سيسترد سنداته ؟

– طبعاً .

هوى بارنيت بقبضته فوق المنضدة وقد تملكه الاستياء فجأة وقال :

– هل تعرف حقيقة صاحبك نيكولا جاسير هذا يا بيشو ؟ وغد ، كابن البوابة تماما .. نعم ، وغد .. كان يسرق عملاءه ، ويستحل أموالهم .. بل أسوأ من هذا ، كان يتأهب لسرقتهم .. وهذه هى تذكرته فى الدرجة الاولى

الى بروكسل بتاريخ نفس اليوم الذى سحب فيه السندات من خزانة الكريدى ليونيه ، ليس لكى يودعها أحد البنوك كما زعم وانما لكى يهرب بها .. ما رأيك الآن فى صديقك نيكولا جاسير ؟

لم ينطق بيشو بكلمة ، فمنذ سرقة الاثنى عشر سندا كانت ثقته بجاسير قد تزعزعت وأنخفضت كثيراً .. ومع ذلك فقد قال :

– إن عملاءه كلهم من الناس الكرام ، فهل من العدل افلاسهم ؟

– ان ذلك لن يكون طبعاً ، وانا لا أقبل ابدا مثل هذا الظلم .

– حسنا ؟

– حسنا .. ان جاسير ثرى .

قال بيشو :

– انه لم يعد يملك شيئاً .

– هذا خطأ .. فطبقاً لمعلوماتى ، وهى معلومات أكيدة ، لديه مايتيح له السداد لعملائه ، ويتبقى له الكثير بعد ذلك .. وليكن معلوما لديك انه اذا كان لم يقدم شكوى منذ أول يوم فذلك حتى لا تتدخل العدالة فى أعماله . ولكن بتهديده بالسجن ، سوف ترى انه سيتدبر أمره .. لا يملك شيئا ؟ .. ان صاحبك نيكولا جاسير مليونير ولابد أن يدفع بنفسه ما اقترفت يداه .

– معنى هذا ان فى نيتك الاحتفاظ بـ .

– الاحتفاظ بالسندات ؟ .. أبداً .. اننى بعتها

– ولكنك تحتفظ بقيمتها ؟

ابدى بارنيت حركة أستياء وقال :

– ولالحظة واحدة .. اننى لاأحتفظ بشئ .

– وماذا تفعل بها اذن ؟

– اننى أوزعها .

– على من ؟

– على أصدقاء يعانون من الحاجة ، وعلى جمعيات خيرية أقوم باعانتها آه .. لاتخف يابيشو .. ان نقود نيكولا جاسير ستستخدم استخداماً صالحاً .

لم يشك بيشو فى ذلك .. انتهت المغامرة هذه المرة أيضاً باستيلاء بارنيت على " الغلة " .. ان بارنيت يعاقب المجرمين وينقذ الأبرياء ، ولكنه لاينسى أن يكافئ نفسه ، فلابد للمحسن وفاعل الخير من أن يبدأ بنفسه .

اصطبغ وجه المفتش بيشو .. ان عدم احتجاجه معناه اشتراكه فى الجريمة ولكنه أحس من ناحية أخرى أن سنداته الاثنى عشر فى جيبه ، وأدرك انه لولا تدخل بارنيت لضاعت عليه .. ولهذا لم تكن اللحظة مناسبة لكى يغضب ويبدأ النزال .. وسأله بارنيت :

– ماذا بك ؟ ألست مسروراً ؟

قال بيشو المسكين فى توكيد :

– بلى .. بلى .. اننى مسرور جداً .

– ابتسم اذن مادام كل شئ على مايرام .

وابتسم بيشو ، فصاح بارنيت :

– حسناً . يسرنى اننى أديت لك خدمة .. وأشكرك اذ زودتنى بهذه

الفرصة .. لنفترق الآن ياصاحبى ، فلاريب أنك مشغول جداً ، وانا انتظر زيارة سيدة .

قال بيشو وهو يمضى نحو الباب :

– الوداع .

ورد بارنيت عليه قائلاً :

– بل الى اللقاء .

خرج بيشو مسروراً كما قال ، ولكنه غير مستريح الضمير . واستقر منه العزم ألا يلتقى بذلك الرجل بعد ذلك أبداً .

وفى الخارج ، عند منعطف الشارع ، رأى ضاربة الآلة الكاتبة الجميلة مقبلة ، وأدرك انها السيدة التى ينتظرها بارنيت .

ولكنه رأى بارنيت بعد ذلك بيومين ، فى السينما وبرفقته الجميلة الآنسة هاتلين ، مدرسة الناى .

***

٦ تصاريف القدر

عهد الى المفتش بيشو حل قضية قصر فيودونجون ، فاستقل قطار المساء فى نفس اليوم ، وانطلق الى وسط فرنسا ، مزوداً بالمعلومات ، وهبط فى محطة جيريه ، حيث مضت به سيارة فى صباح اليوم التالى الى كفر مازوريك .. وبدأ بزيارة القصر ، وهو بيت فخم وعتيق قائم فوق رابية على ساحل نهر كروز ، ويقيم فيه جورج كازيفون ، وهو رجل قوى من رجال الصناعة ، ورئيس المجلس العام ، ويحظى بشهرة كبيرة ، وله علاقات سياسية ، فى نحو الاربعين من عمره ، يحمل مظهره الصارم على احترام الناس له .. ولما كان قصر فيودونجون فى دائرة أملاكه فقد أراد أن يمضى بيشو اليه .

وكان لابد فى البداية من اجتياز روضة كبيرة مزروعة باشجار الكستناء ، تنتهى الى برج مرتفع متهدم ، وهو الأثر الاقطاعى الوحيد الباقى فى كفر مازوريك والذى يرتفع فى السماء ، فى آخر المنعطف الذى تداعت عنده الصخور ، على شاطئ نهر كروز.

وعلى الشاطئ الآخر الذى تمتلكه أسرة دالسكار ، يقوم على مسافة تبعد بنحو اثنى عشر متراً يقوم سور من الحجارة الدبش يلمع بالرطوبة تقع بعده بنحو خمسة او ستة امتار شرفة محاطة بدرابزين وتظللها الأشجار ، تفضى

الى طرقة الحديقة .

كان المكان مهجوراً ، وهناك ، منذ عشرة أيام ، وفى الساعة السادسة صباحاً ، عثر فوق أكبر الصخور على جثة الكونت الشاب جان دالسكار . ولم تكن بالجثة اية آثار فيما عدا ذلك الأثر الذى تحدثه السقطة على رأس الرجل وكان هناك غصن يتدلى حتى الجذع بين غصون الأشجار فى الشرفة المقابلة .. ودل الأستنتاج على ان الكونت الشاب وقع من فوق الغصن فوق الصخور على الشاطئ ، وبهذا بدا ان الموت وقع قضاء وقدراً وقد سمح المسئولون بدفن الجثة .

وسأل بيشو :

– ولكن ماذا كان الكونت يفعل فوق تلك الشجرة بحق الشيطان .

أجاب جورج كازيفون :

– كان يريد ان ينظر من أعلى ، وعن قرب الى هذا القصر ، فهو مهد الأسرة القديمة لآل دالسكار ..

وأردف يقول على الفور :

–لن أقول اكثر من ذلك ياسيدى المفتش .. ولاتنس ان ادارة الأمن كلفتك بهذه المهمة تحت الحاحى الشديد ، فالواقع ان هناك إشاعة مغرضة تدور ، ووشايات لاأساس لها تصيبنى فى الصميم ، وأريد ان أضع لها حدا ، فقم بالتحقيق واستجوب ، وامض على الخصوص الى زيارة الآنسة دالسكار ، اخت الكونت الشاب ، والشخص الوحيد الباقى من الأسرة .. وفى يوم رحيلك تعال وودعنى .

لم يضع بيشو وقته ، ففحص اسفل البرج ، وقام بالتفتيش بين البقايا

المتكومة فى الداخل من الاحجار والاعشاب ، ثم عاد الى البرج ، واستجوب وزار قسيس الكفر والعمدة ، وتناول طعامه فى الحانة .. وفى الساعة الثانية دخل الحديقة الصغيرة التى تمتد حتى الشرفه ، والتى يشطرها الى قسمين بيت صغير متهدم يعرف باسم القصر ، وقال للمرأة العجوز التى خفت لاستقباله بأنه يريد أن يتحدث الى الآنسة دالسكار .. واستقبلته هذه الأخيرة على الفور الى غرفة منخفضة ، بسيطة المفروشات .. وكانت تتحدث مع رجل .. ونهض .. ونهض الرجل هو الآخر .. وعرف بيشو جيم بارنيت .

وهتف بارنيت فى مرح وهو يبسط يده :

– آه . .ها انت أخيراً أيها الصديق العزيز! عندما رأيت صباح اليوم فى الجرائد نبأ رحيلك لساحل الكروز ، انطلقت بسيارتى سريعاً لكى اكون فى خدمتك ، وكنت فى انتظارك .. أقدم اليك يا آنسة المفتش بيشو ، الرسول الخاص لادارة الآمن ، ويمكنك أن تطمئنى إليه ، ولا شك أنه توصل الآن الى حل القضية ، فهو استاذ .. تكلم يا بيشو .

لم ينطق بيشو .. كان مذهولاً ، فقد كان بارنيت آخر شخص يتمنى أن يراه ، وأزعجه وجوده وأثار سخطه .. دائما بارنيت .. ألابد له من أن يلتقى به مرة أخرى ؟ وأن يخضع لمساعدته البغيضة .. أليس من المحقق أن بارنيت عندما يتدخل فى أية قضية لا يكون له من هدف إلا الخداع والاحتيال .

ومهما يكن ، ففيم يتكلم وهو لايزال حتى الآن يتخبط فى أشدالظلمات كثافة ، ولا يستطيع أن يفتخر بأقل اكتشاف .. ولزم الصمت فى حين استأنف بارنيت حديثه فقال :

– إليك الأمر اذن يا آنسة .. ان بيشو اسعفه الوقت لكى يرسخ فى ذهنه

أسسا هامة ويصر على أن تؤكدى له نتائج تحقيقه وحيث اننا لم نجد ، انا وانت ، الوقت لتبادل بضع كلمات ، فأرجو أن تتكرمى وتذكرى لنا ماتعرفينه عن المأساة التى راح أخوك الكونت دالسكار ضحية لها .

كانت اليزابيث دالسكار فتاة طويلة القامة ، شاحبة اللون ، ترتدى السواد ، على جانب كبير من الجمال ، ولكنها ذات وجه صارم ، كان يبدو أنه يرتجف أحيانا تحت الشهقات التى تحاول ان تتغلب عليها .. وقالت :

– كنت أود التزام الصمت ، ولكن مادامت تدعونى الى هذا الواجب الشاق فأنا على استعداد للاجابة على اسئلتك ياسيدى .

قال بارنيت :

– ان صديقى بيشو يريد أن يعرف متى رأيت أخاك لآخر مرة ؟

– فى الساعة العاشرة مساء .. تناولنا العشاء ونحن نمرح ونلهو كالعادة كنت أحب جاك كثيراً ، وكان يصغرنى ببضعة أعوام ، وقد ربيته تقريباً ، وكنا سعيدين دائما معاً .

– هل خرج أثناء الليل ؟

– لم يخرج إلا قبيل الفجر بقليل ، فى نحو الساعة الثالثة والنصف صباحاً .. وقد سمعته خادمتنا العجوز .

– هل كنت تعرفين أين يذهب ؟

– قال لى بالأمس انه يريد أن يصطاد بالسنارة من أعلى الشرفة ، وكانت تلك متعته الكبرى .

– اذن فأنت لا تستطيعين أن تقولى شيئاً عن المدة التى تبدأ من الساعة الثالثة والنصف حتى اللحظة التى اكتشفت فيها الجثة ؟

– بلى .. دوت طلقة رصاصة فى الساعة السادسة والربع .

– الواقع أن بعض الأشخاص سمعوا هذه الطلقة .. وربما أطلقها صياد مخالف .

– وهذا ما قلته لنفسى .. ولكننى أحسست بالقلق مع ذلك ، فنهضت وارتديت ثيابى . وعندما خرجت الى الشرفة كان الناس قد تجمعوا أمامها ، ونقلوا جثته الى حديقة القصر .. وكان المنحدر شديد الصعوبة من ناحيتنا .

– لا يمكن ان تكون لهذه الرصاصة أية علاقة بالحادث ، وإلا لكشف فحص الجثة عن الاصابة التى سببتها ، وهذا ما لم يحدث .

واذ بان عليها التردد أصر بارنيت قائلاً :

– أرجوك أن تردى على سؤالى .

قالت :

– مهما تكن الحقيقة فيجب أن أقول ان العلاقة فى ذهنى مؤكدة .

– لماذا ؟

– لأنه ليس هناك تفسير آخر ممكن فى البداية .

– حادث ؟

– كلا .. كان جان دائما خفيف الحركة وشديد الحرص .. وما كان ليركن بحياته الى ذلك الغصن البالغ الرقة .

– والذى انكسر مع ذلك .

– لا شئ يثبت انه انكسر بسبب ثقله ، فى تلك الليلة .

– اذن فرأيك الصريح والأكيد يا آنسة هو أن هناك جريمة ؟

– نعم .

– وعلى أية أدلة تستندين ؟ هذا ما يريد بيشو أن يعرفه منك .

فكرت اليزابيث بضع ثوان ، كان هناك إحساس بأنه يشق عليها ان تتذكر ذكريات بغيضة .. ومع ذلك فقد استقر منها العزم ، وقالت :

– سأتكلم اذن .. ومن أجل هذا يجب أن أتذكر حادثاً يرجع الى عشرين سنة فى ذلك الوقت ، أفلس أبى بسبب موثق عقوده لم يكن أميناً معه . واضطر ، لكى يسدد دائنيه ، أن يلجأ الى ثرى من رجال الصناعة بجيريه . وأقرضه هذا الأخير مائتى ألف فرنك واشترط عليه شرطاً واحداً وهو أن تؤول إليه ملكية القصر والأملاك وأراضى مازوريك اذا لم يسدد إليه الدين بعد خمس سنوات .

– ورجل الصناعة الذى تتحدثين عنه كان والد جورج كازيفون؟

– نعم .

– هل كان يريد هذا القصر ؟

– تماماً . أراد أن يشتريه اكثر من مرة .. ولهذا ، عندما مات أبى بعد أربع سنوات وأحد عشر شهراً أخطر عمى والوصى علينا بأن أمامنا مهلة شهر لتسديد الدين .. ولم يكن أبى قد ترك شيئاً فطردنى من القصر أنا وجان .. وآوانا عمى ، وكان يقيم فى هذا القصر ، ولم يكن يملك هو نفسه غير إيراد بسيط . ومات بعد قليل ، كما مات مسيو كازيفون الأب .

اصغى بارنيت وبيشو فى اهتمام .. وقال بارنيت :

– لا يرى صديقى المفتش أية رابطة بين ما تقولين وبين ما حدث اليوم

نظرت الآنسة دالسكار الى المفتش بيشو في دهشة يشوبها شئ من الازدراء .. واستطردت دون أن ترد :

– عشنا وحيدين اذن ، انا وجاك فى هذا القصر الصغير، أمام البرج والقصر اللذ ، كانا ملكا لأجدادنا طوال الوقت .. وكان ذلك بالنسبة لجان غماً وكرباً ذَ يزدادان مع مر السنين مع نمو ذكائه وحساسيته كمراهق . كان يتألم حقا لأنه طرد مما يعتقد أنها منطقته .. وبين لهوه وعمله كان يقضى أياما طويلة لمراجعة سجلاتنا ، ومطالعة الكتب التى تتكلم عن أسرتنا .. وهكذا اكتشف ذات يوم ورقة كان أبى يسجل فيها حسابات سنواته الأخيرة ، ويدون المبالغ التى وضعها على حدة بفضل التوفير والمضاربات السعيدة .. كانت هناك إيصالات من أحد البنوك .. ومضيت الى ذلك البنك وعلمت ان أبى أقفل حسابه قبل موته باسبوع واحد بعد ان بلغت قيمة ايداعاته مبلغ مائتى الف فرنك وسحبها فى نفس الاسبوع .

– وهى نفس القيمة التى كان يجب أن يسددها بعد ذلك ببضعة أسابيع .

– لماذا أجل السداد اذن ؟

– لا أدرى .

– ولماذا لم يسدده بشيك ؟

– لا أعلم .. كان لأبى عاداته .

– اذن فمن رأيك أنه أودع ذلك المبلغ مكاناً ما ؟

– نعم .

– ولكن أين ذلك المكان ؟

ناولت اليزابيث بارنيت وبيشو نوته صغيرة من عشرين صفحة مغطاة

ببعض الأرقام وقالت وهى تشير الى الصفحة الأخيرة مرسوم فيها ثلاثة أرباع دائرة وعلى يمينها نصف دائرة أصغر من الأولى .

وكانت تقطع نصف الدائرة أربعة خطوط ، وبين خطين منها صليب صغير كل هذا مخطوط أولا بالقلم الرصاص ثم أعيد فوقه بالحبر .

وسألها بارنيت :

– ما معنى هذا ؟.. أجابت اليزابيث :

– لم نفهم إلا بعد وقت طويل .. حتى اليوم الذى خمن فيه جاك أن هذا الرسم يمثل الخريطة الحقيقية للبرج الكبير من الخارج .. نفس الأجزاء المتساوية للدائرتين المتحدتين ، والخطوط الأربعة تشير الى الشرفات الأربع .

قال بارنيت متمماً :

والصليب يبين المكان الذى أخفى فيه الكونت دالسكار المائتى الف فرنك فى انتظار استحقاق سدادها .

قالت الفتاة فى وضوح :

– نعم .

فكر بارنيت ، وفحص المستند ثم قال :

– الواقع ان هذا محتمل تماماً ، فان الكونت حرص على الاشارة الى المكان الذى اختاره ، ولم يترك له موته الفجائى الوقت لكى يطلعكما عليه . ولكن كان يكفيكما على ما أظن أن تبلغا مسيو كازيفون ، وأن تحصلا على الاذن .

– بأن نصعد الى البرج ؟ هذا ما فعلناه .. ولم نكن على علاقة ودية

بجورج كازيفون .. ومع ذلك فقد أحسن استقبالنا .. ولكن كيف نصعد الى البرج .. لقد انهار السلم منذ خمس عشرة سنة ، وانفصلت الأحجار وتفتت القمة ، ولا يمكن لأى سلم ولا لأية مجموعة من السلالم المربوطة بعضها ببعض بلوغ الشرفات التى تبعد عن الأرض بثلاثين متراً .. وكان من المستحيل التفكير فى التسلق .. ودارت بيننا مناقشات ومشروعات وخطط دامت شهوراً طويلة ، لم تفض الى .

قاطعها بارنيت قائلاً :

– لم تفض إلى أية نتيجة .

قالت وقد اصطبغ لونها :

– نعم .

– وأغرم بك جورج كازيفون ، وطلب يدك فرفضت .. ثم شراسة وعنف وقطيعة ، ولم يعد لجان دالسكار الحق فى دخول أملاك مازوريك .

أجابت الفتاة :

– هذا ما حدث .. ولكن أخى لم يستسلم ، فقد أراد هذه النقود .. أرادها لكى يشترى جزءا من أملاكنا ، أو كما قال لكى تكون دوطة تسمح لى بزيجة طيبة .. وأصبحت هذه فكرة ثابتة لديه ، وعاش أمام البرج ، وراح يتأمل قمته المتعذرة عليه طوال الوقت .

وابتكر ألف وسيلة لكى يبلغها .. وتدرب على اطلاق السهام، فما أن يبزغ الفجر كل يوم حتى يطلق سهامه المزودة بخيوط على أمل ان يقع السهم بحيث يمكن ربط حبل فى أحد تلك الخيوط ورفعه حتى القمة .. وأعد لذلك ستين مترا من الحبال وكانت كلها محاولات لا نتيجة لها .. وأحبطه فشلها

وقد قال لى فى اليوم السابق لموته " اذا كنت أصر هكذا فذلك لأننى واثق من النتيجة .. سيقع شئ فى صالحى .. ستقع معجزة . لدى استشعار بذلك ، فان الحق يتحقق دائما بقوة الأحداث أو بفضل من الله . "

وعاد بارنيت يقول :

– انت تعتقدين اعتقاداً جازماً اذن بأنه مات أثناء محاولة جديدة ؟

– نعم .

– ألم يكن الحبل فى نفس المكان الذى وضعه فيه ؟

– بلى .

– اذن ما الدليل ؟

– تلك الرصاصة التى أطلقت ، فان جورج كازيفون فاجأ أخى وأطلق الرصاص .

صاح بارنيت :

– اوه .. اوه .. هل تعتقدين أن جورج كازيفون جدير بمثل هذا التصرف ؟

– نعم . انه رجل عنيف تدفعه طبيعته الى أشد أعمال العنف .. حتى القتل .

– ولأى سبب يقتل ؟ ألكى يسلب أخاك ما حصل عليه من نقود ؟

أجابت الآنسة دالسكار :

– لا أدرى . ولا أدرى كذلك كيف ارتكبت الجريمة ، حيث أن جثة أخى المسكين لا تحمل أى أثر لاصابة ومع ذلك فيقينى كامل وتام .

– ليكن .. اعترفى أن هذا اليقين يقوم على الحدس والتخمين اكثر منه على الحقائق .. ويجب أن أقول لك ان هذا لا يكفى فى مجال القضاء . ولا يستبعد أن يدفع الاستياء جورج كازيفون الى مقاضاتك بسبب التشهير ، أليس كذلك يا بيشو .

نهضت الأنسة دالسكار واقفة وقالت فى لهجة خطيرة :

– ليست أحفل بذلك ياسيدى .. لم أتكلم لكى أنتقم لأخى المسكين فلن تعيده معاقبة الجانى الى الحياة ، ولكنى لكى أقول ما أعتقد أنه الحقيقة . اذا قاضانى جورج كازيفون فهذا من حقه ، ولكننى سأرد عندئذ أيضا بما يمليه ضميرى .

ولزمت الصمت لحظة ثم قالت :

– ولكنه سيلتزم الهدوء ، ولك أن تثق من ذلك أيها السيد .

وانتهت المقابلة ، ولم يصر جيم بارنيت ، فلم تكن الآنسة دالسكار امرأة يمكن تخويفها .. وقال :

– اننا نلتمس العذر يا آنسة لازعاجنا لك واقلاقك فى وحدتك .. ولكن كان لابد من ذلك ، بكل أسف ، لمعرفة الحقيقة .. ولك أن تتأكدى ان المفتش بيشو سيعرف كيف يستخلص من كلماتك المعلومات التى تتضمنها .

وحيا الفتاة ثم خرج ، وحذا بيشو حذوه هو الآخر .

وكان هذا الأخير لم ينطق بكلمة أثناء كل ذلك الحديث . وبعد ان خرجا لزم الصمت ، ربما احتجاجاً على مساعدة تثير حنقه اكثر من إخفاء الاضطراب الذى تسببه له هذه القضية الغامضة التى زاد بارنيت من غموضها بالأسئلة التى وجهها الى الفتاة .. وقال بارنيت :

– انت على حق يا بيشو ، واننى أعرف ما يدور فى خلدك .. ففى اعترافات تلك الفتاة ، هناك الممكن والمحال والحقيقى وغير الحقيقى . وخطط الشاب دالسكار انما هى خطط صبيانية .. ولو أن ذلك الفتى المسكين استطاع بلوغ قمة البرج ، واننى أعتقد أنه بلغها ، على خلاف رأيك السرى ، فذلك بفضل تلك المعجزة الغريبة التى كان يتمناها من سويداء قلبه ، والتى لا نستطيع بعد أن نتصورها .. والمشكلة التى نتعرض لها الآن هى كيف أن ذلك الشاب استطاع فى مدى ساعتين ابتكار وسيلة للتسلق واعدادها وتنفيذها ثم يهبط ، ويقع وهو فى الجو من تأثير طلقة بندقية .. لم تصبه .

وعاد جيم بارنيت يقول ، كما لو أنه يحلم :

– من تأثير طلقة بندقية لم تصبه .. نعم يا بيشو .. ان فى كل ذلك معجزة .

تواجد بارنيت وبيشو فى مساء اليوم نفسه فى حانة القرية .. وتناولا فيها العشاء ، كل من ناحيته .. ولم ير أحدهما الآخر فى اليومين التاليين إلا وقت العشاء .. أما بقية الوقت فقد تابع فيه بيشو تحقيقاته واستجواباته ، فى حين دار بارنيت بحديقة القصر ، وجلس على بعد قليل من الشرفة ، فوق ربوة مخضرة استطاع منها ان يرى البرج القديم ونهر كروز .. وراح يصطاد او يدخن سجائر وهو يفكر .. ولكى يكتشف معجزة ، فلابد على الاقل من ان يجد لها أثراً ، بدلاً من ان يخمن طبيعتها .. ماهى المعونة التى استطاع جان دالكسار أن يجدها والتى هدته إليها الظروف .

ولكنه مضى فى اليوم الثالث الى جيريه ، ومضى اليها كرجل يعرف مسبقاً ماسوف يفعل ، وأى باب سوف يطرق .

وأخيرا ، التقى ببيشو فى اليوم الرابع ، وقال له هذا الأخير :

- اننى فرغت من تحقيقى .

أجابه بارنيت :

- وأنا كذلك .

- وسأعود اذن الى باريس .

- وأنا ايضا يابيشو .. واستطيع ان اصطحبك فى سيارتى .

- حسناً .. اننى وعدت جورج كازيفون أن التقى به بعد ثلاثة اربا ع ساعة .

قال بارنيت :

- سأجدك هناك ، فاننى سئمت الاقامة فى هذا القصر.

وسدد حساب الحانة ثم مضى نحو القصر ، وتفقد الحديقة وأرسل الى كازيفون بطاقته بعد أن كتب عليها مساعد المفتش بيشو .

استقبله جورج كازيفون فى بهو كبير يشغل جناحاً من القصر تزينه رءوس من الوعول ومجموعات من الأسلحة المختلفة ، وفترينات تحتوى على بنادق ودبلومات تشهد ببراعة كازيفون ومهاراته فى إصابه الأهداف .. وقال بارنيت :

- يجب أن يأتى صديقى ، المفتش بيشو لينضم الينا هنا .. اننا قمنا بالتحقيق معا ، وسنرحل معا .

سأله جورج كازيفون :

- ومارأى المفتش بيشو ؟

– انه رأى قاطع ياسيدى .. لاشئ .. لاشئ على الاطلاق يسمح بأن نرى هذه القضية على غير ماتبدو .. والمعلومات التى جمعناها لاتأثير لها أبداً .

– والآنسة دالسكار ؟

– ان الآنسة دالسكار ، طبقا لرأى المفتش بيشو ابتلاها الحزن ، وأقوالها لاتؤثر فى التحقيق .

– أهذا رأيك أنت ايضا يامستر بارنيت ؟

– أوه ماأنا إلا مساعد متواضع أيها السيد . ورأيى مرتبط برأى بيشو .

وراح يمشى فى البهو ، وينظر الى الفترينات وقد بدا عليه الاهتمام بمجموعة الأسلحة .. وقال جورج كازيفون :

– انها بنادق جميلة ، أليس كذلك ؟

– بل رائعة .

– هل أنت من الهواة .

– اننى من المعجبين بالبراعة على الخصوص ، وبكل دبلوماتك وشهاداتك ، وهى من مؤسسات معروفة ومشهورة تثبت كلها أنك أستاذ . وهذا ماقيل لى أمس فى جيريه .

– هل يتكلمون عن هذه القضية كثيراً فيى جيريه ؟

– اذا أردت الحقيقة فكلا .. ولكن براعتك فى إصابة الهدف مشهود بها .

وأخذ بندقية وراح يعالجها بين يديه ، ويزنها فقال جورج كازيفون :

– توخ الحذر .. انها بندقية حرب محشوة .

– اتستخدمها ضد الأشقياء .

- بل ضد لصوص الصيد .

- حقا ياسيدى ؟ .. أتكون من الشجاعة بحيث تردى واحداً منهم ؟

- يكفينى أن أحطم إحدى ساقيه .

- ومن هنا ، من هذه النافذة تطلق النار ؟

- أوه ، ان لصوص الصيد لا يقتربون من هذه الناحية .

- ومع ذلك فانه ليكون أمرا داعياً الى الطرب .

وفتح نافذة صغيرة جداً ، فى ركن من البهو وقال :

- آه .. عجبا .. أننا نرى من هنا ، من بين الأشجار جزءا قليلاً من البرج القديم ، على بعد نحو مائتين وخمسين متراً تقريبا .. لابد ان ذلك الجزء هو الذى يطل على النهر ، أليس كذلك ؟

- تقريباً .

- بل يطل عليه مباشرة .. انظر .. اننى أعرف باقة من الأشجار بين صخرتين .. هل ترى هذه الزهرة الصفراء هناك .

وأسند البندقية الي كتفه وأطلق فى خفة ، ووقعت الزهرة .

بدا شئ من المرح على جورج كازيفون .. ماذا يبغى ذلك المساعد المتواضع نو المهارة العجيبة ، وبأى حق أصدر هذه الضجة .. وقال بارنيت :

- إن خدمك يقطنون فى الناحية الأخرى من القصر ، أليس كذلك . .لا يمكن ان يسمعوا مايدور هنا .. ولكن يؤسفنى جدا الذكرى الأليمة التى سببتها الآن للآنسة دالسكار .

ابتسم جورج كازيفون وقال :

أظن ان الآنسة دالسكار تصر على وجود علاقة بين رصاصة ذلك الصباح والحادث الذى وقع لأخيها؟

– نعم .

– ولكن كيف تثبت وجود هذه العلاقة ؟

– كما أثبتها انا نفسى الآن .. من ناحية ، وقف بعضهم أمام هذه النافذة ، ومن ناحية أخرى أخوها المعلق بالبرج .

– ولكن مادام أخوها قد مات بسبب وقوعه .

– وقوع سببه تحطيم صخرة معينة وبروز معين كان يتشبث بهما بيديه .

تجهم وجه جورج كازيفون وقال :

– لم أكن أعلم أن اعترافات الآنسة دالسكار بهذه السمة المحددة ، واننا أمام اتهام صريح .

كرر بارنيت عبارته الأخيرة قائلا :

– اتهام صريح .

نظر اليه الآخر .. أدهشه اكثر فاكثر جرأة المساعد المتواضع ولهجته وهيئته الدقيقة ، وراح يتساءل ان لم يكن الرجل قد جاء بنوايا عدوانية .. لأن الحديث الذى بدأ بطريقة شاردة اتخذ وضعاً هجومياً كان لابد له من مواجهته ، فجلس فجأة وقال :

– وما الهدف من ذلك التسلق فى رأيك ؟

– استرداد المائتى الف فرنك التى خبأها أبوه فى مكان أشار إليه

الصليب فى الرسم الذى عرضه عليك .

احتج جورج كازيفون قائلاً :

– هذا تفسير لم أقبله أبداً ، فلو أن أباه جمع هذا المبلغ فلماذا أخفاه بدلا من أن يسدده لأبى على الفور .

اعترض بارنيت وقال :

– الاعتراض له قيمته ، ما لم يكن قد أخفى شيئا آخر غير المبلغ .

– وماذا اذن ؟

– لا ادرى .. يجب أن نواجه نظرية .

– ثق إن اليزابيث وأخاها جان دالسكار قد استعرضا كل النظريات .

– وما أدرانا ؟ انهما ليسا من المحترفين مثلى .

– مهما يكن من أمر المحترف فهو لا يمكنه أن يبتكر شيئاً من لا شئ .

– بل يمكنه هذا أحيانا .. هل تعرف السيد جريوم الذى يشرف على أرشيف جرائد جيريه ، والذى كان يعمل محاسباً فى شركاتك سابقاً .

– نعم . وهو رجل قدير حقاً .

– انه يزعم أن أبا الكونت جان قد زار أباك فى صباح اليوم التالى لليوم الذى سحب فيه المائتى الف فرنك من البنك .

– واذن ؟

– ألا يمكن ان نفترض أنه رد لأبيك المائتى ألف فرنك اثناء تلك الزيارة ، وان الايصال هو الذى أخفاه فوق قمة البرج ؟

أجفل جورج كازيفون وقال :

– ولكن هل تدرك أيها السيد ما فى نظريتك هذه من إهانة لذكرى أبى ؟

سأله بارنيت فى سذاجة :

– وكيف هذا .

– لو أن أبى قبض ذلك المبلغ لأعلن ذلك بكل صراحة .

– ولماذا ؟ .. لم يكن مجبراً على الكشف عن سداد قرض قدمه بصفة شخصية .

هوى جورج كازيفون بقبضته على مكتبه وقال :

– ولكنه ، ما كان ، بعد اسبوعين ، أى بعد موت مدينه ، ليطالب بحقوقه فى أملاك مازوريك .

– ومع ذلك فهذا ما فعله .

– ولكن .. ولكن .. ان ما تقول جنون .. يجب أن تكون منطقيا أيها السيد حين تنطق بمثل هذه التأكيدات .. وعلى فرض أن أبى كان جديراً بأن يطالب بمبلغ سبق أن تسلمه فانه ما كان إلا ليجازف بأن يقدموا اليه الايصال .

قال بارنيت فى شئ من الاهمال وهو يشدد الضغط على كل كلمة من كلماته :

– لعله عرف أن أحداً لا يعلم بذلك ، وأن الورثة يجهلون أمر السداد . ولما كان متمسكا بهذه الأملاك كما قيل لى ، ولما كان قد أقسم بأنه سوف يحصل عليها بأية طريقة فقد استسلم للاغراء .

وهكذا ، شيئا فشيئا ، وبالايعازات الساخرة والعنيدة قلب جيم بارنيت وجه القضية واتهم كازيفون الأب بالغدر والاحتيال . وانتفض جورج كازيفون من فرط الغضب ، وشدد الضغط على قبضتيه ، وراح يراقب في ذهول ذلك المساعد المتواضع الذى جرؤ فى برود وهدوء بأن يذكر تلك الحقائق البغيضة .. وصاح :

– اننى أمنعك أن تتكلم هكذا .. انك تقول أشياء كيفما اتفق .

– كيفما اتفق ؟ .. كلا . وأؤكد لك ذلك .. ان كل ما اذكره تؤيده الحقائق تماماً .

صاح جورج كازيفون محطما حلقة الافتراضات والنظريات التى أحاطه بها هذا العدو غير المتوقع :

– كذب . ليس لديك أى دليل .. لكى يكون لديك الدليل على العمل الشائن الذى ارتكبه أبى فلابد لك من أن تمضى وتبحث عنه فى قمة البرج القديم .

– هذا ما فعله جان دالسكار .

– هذا غير صحيح .. فما كان فى مقدوره أن يتسلق برجاً ارتفاعه ثلاثين متراً ، فان هذا فوق قوة البشر ، ولا يمكن انجازه فى ساعتين .

عاد بارنيت يقول فى إصرار :

– لقد فعل جان دالسكار ذلك .

قال جورج كازيفون :

– ولكن بأية وسيلة ؟ .. وبأى سحر ؟

نطق بارنيت بالعبارة التالية :

– بواسطة حبل .

انفجر كازيفون ضاحكاً وقال :

- بواسطة حبل ؟ ولكن هذا جنون ! نعم . والواقع اننى فاجأته مائة مرة وهو يطلق سهاما على أمل أحمق بأن يتعلق الحبل الذى أعده .. يا للفتى المسكين .. أعود فأقول فى ساعتين ثم .. ثم لو ان هذا حدث لوجدوا ذلك الحبل فوق البرج بعد الحادث أو فوق الصخور ، على ساحل النهر .. ولما وجدوه فى القصر كما لابد أنه لايزال هناك حتى الآن .

أجابه جيم بارنيت وهو فى اتم الهدوء :

- انه لم يستخدم ذلك الحبل .

صاح جورج كازيفون وهو يضحك فى عصبية :

- أى حبل استخدم اذن ، لأن هذه القصة تتخذ أخيرا وجهاً جدياً .. ان الكونت جان دالسكار هبط فى الفجر على شرفة قصره مزوداً بحبله السحرى ، ونطق بالكلمات السحرية ، وارتفع الحبل وحده حتى قمة البرج لكى يتمكن الساحر من تسلقه ...معجزة الدراويش الهنود .. ماذا أقول ؟ ..

قال بارنيت :

- انت أيضاً ايها السيد يجب أن تتكلم عن معجزة ، تماماً كتلك المعجزات التى كانت الأمل الأخير لجان دالسكار والتى بنيت انا عليها اعتقادى بخصوص هذه الفكرة .. ولكنها معجزة حدثت بطريقة مخالفة لما تتصوره انت ، لأنها لم تقع من أسفل الى فوق كما هى العادة ، وكما هو المعقول وانما حدثت من فوق الى تحت .

قال كازيفون مازحاً :

- العناية الالهية اذن ! .. العناية التى قامت بمعجزة لأحد مختاريها .

قال بارنيت :

– ليس للعناية الالهية دخل فى ذلك .. انما المعجزة التى اتكلم عنها هى من تلك المعجزات التى يمكن لمجرد الصدفة أن تحققها فى أيامنا هذه .

– الصدفة ؟

– لاشئ محال فى هذا المجال .. فان الصدفة أقوى الأشياء وأكثرها إثارة وبراعة ، واكثرها بعداً عن الواقع وغرابة أيضاً .. فهى تقرب وتجمع وتضاعف اكثر التدبيرات المخالفة للمألوف ، وتخلق باكثر العناصر تبايناً واقع كل يوم .. وليس هناك ما يخلق المعجزات غير الصدفة ، والمعجزة التى أتصورها غريبة جداً فى عصرنا هذا ، حيث يقع من السماء أشياء أخرى غير النيازك وغبار الكون .

قال كازيفون ساخراً :

– حبال ؟

– حبال .. واى شئ .. ان قاع البحر حافل بالأشياء التى تقع من السفن الذى تمخره

– ولكن ليس هناك سفن فى السماء .

– بل هناك ، ولها اسماء أخرى .. ومنها البالونات والطائرات والمناطيد . وهى تنطلق فى كل الأجواء ، كما تمخر السفن البحار ويمكن أن يقع منها أو أن يلقى منها آلاف الأشياء المختلفة .. وقد تكون من بين هذه الأشياء ربطة من الحبال تتعلق بشرفات البرج .. وهكذا تجد تفسيرا لكل شئ .

– وهو تفسير سهل .

– بل تفسير يستند على أساس .. اقرأ جرائد البلد التى ظهرت منذ

الاسبوع الماضى ، كما قرأتها انا أمس ، وسوف تعرف أن بالونا حلق فى الجو فى الليلة التى سبقت موت الكونت جان .. وقد انطلق نحو الجنوب وألقى بضعة اكياس من الرمل ، على بعد خمسة عشر كيلو مترا شمال جيريه .. فكيف لانستنتج أنه ألقى ربطة من الحبال وأن أحد طرفى الحبل تعلق بشجرة من أشجار الشرفة وأن الكونت جان اضطر الى كسر غصن لكى يحرره .. وأنه هبط الى الشرفة وأمسك بطرفى الحبل وجمعهما معا وتسلق ، وهو عمل شاق ، ولكن يمكن أن يقوم به فتى فى مثل سنه .

تمتم كازيفون وقد توترت ملامحه :

- ثم ؟

اختتم بارنيت حديثه قائلاً :

- ثم رأى شخص بارع فى الرماية ، موجود هنا ، بجوار النافذة ، ذلك الرجل معلقاً فى الفضاء ، فأطلق رصاصة على الحبل وقطعه .

قال كازيفون فى صوت أصم :

- آه . أهكذا تفسر انت الحادث .

استطرد بارنيت :

- ثم جرى ذلك الشخص حتى النهر ، وفتش الجثة لكى يأخذ منها الايصال ، ثم أمسك بطرف الحبل المتدلى وجذبه اليه بقوة ومضى وألقى به فى أحد الآبار ، حيث لن يلبث رجال البوليس أن يعثروا عليه .

انتقل الاتهام الآن ، وأصبح الابن ، بعد الأب ، هو المتهم ، وهى علاقة منطقية أكيدة ، لاتقبل النقض ، وتجمع الماضى بالحاضر .

حاول كازيفون أن يتملص ، وتملكه الحنق ضد الرجل نفسه اكثر من

كلماته وصاح :

- يكفينى ما سمعته من تفسير مشوش ونظريات سخيفة .. والآن ، أغرب عن وجهى .. سأقول للمفتش بيشو أننى طردتك من بيتى لأنك تحاول ابتزازى .

قال بارنيت ضاحكاً :

- لو أننى أردت ابتزازك لبدأت بتقديم أدلتى .

قال كازيفون وقد خرج عن طوره :

- أدلتك ؟ .. وهل لديك أدلة .. ان هى إلا كلمات وتفاهات ولكن ليس لديك دليل ، ولا دليل واحد يمكن أن تؤكد به أقوالك إليك عنى .. أدلة ؟ .. ليس هناك غير دليل واحد قد يكون مقبولاً ، ليس هناك غير دليل واحد قد يريكنا انا وأبى .. فكل حججك الواهية تنهار اذا لم يكن لديك هذا الدليل ، وما انت إلا مازح بغيض .

- وما هو ؟

- الايصال بالطبع .. الإيصال الممهور بتوقيع أبى .

قال بارنيت وهو يبسط ورقة مدموغة اصفرت أطرافها بفعل الزمن :

- ها هو . هذا خط أبيك ، أليس كذلك ؟ والنص اكيد .

" انا الموقع أدناه ، اوجست كازيفون ، أقر واعترف بأننى تسلمت من الكونت دالسكار مبلغ المائتى ألف فرنك التى سبق أن اقرضته اياه . وهذا الايصال يحرره دون أى اعتراض ممكن من رهن قصره وأملاكه لى "

والتاريخ مطابق لليوم الذى أشار اليه السيد جريوم .. والتوقيع صحيح ،

وعلى ذلك فالايصال لا يقبل أى جدل ويجب أن تقبله يا سيدى سواء بمستندات سرية تركها لك أبوك أو باقراره واعترافه الذى يتضمنه هذا الايصال .. واكتشاف هذا الايصال معناه إدانة أبيك ، وإدانتك انت الآخر ، وطردك من القصر والأملاك التى تتمسك بها كما تمسك بها أبوك وانت قتلت لهذا السبب .

تمتم كازيفون :

– لو انني قتلت لاستوليت على هذا الايصال .

– انك بحثت عنه في جثة ضحيتك ولم تجده ، فقد دفع الحرص الكونت جان دالسكار الى أن يربطه بحجر وأن يلقيه من فوق قمة البرج لكى يلتقطه فيما بعد .. وأنا الذى وجدته على مقربة من الشاطئ ، على بعد عشرين متراً .

واستطاع بارنيت أن يجد الوقت الكافى لكى يتراجع الى الخلف فان جورج كازيفون حاول أن ينتزع الايصال منه .

ومرت لحظة تبادل فيها الرجلان النظر ، ثم قال بارنيت :

– ان مجرد حركتك هذه تعتبر اعترافاً .. ثم ان الذعر مرتسم فى عينيك وانت فى مثل هذه اللحظة جدير بكل شئ كما قالت لى الآنسة دالسكار . وهذا ما حدث فى ذلك اليوم عندما رفعت بندقيتك على غير وعى منك تقريباً ولكن تمالك نفسك .. ان جرس الباب يدق .. انه المفتش بيشو ، وقد يكون من مصلحتك ألا يعرف شيئا .

ومرت لحظة .. وأخيرا تمتم كازيفون والذعر لا يزال مرتسما فى عينيه :

– كم ؟ .. كم تريد ثمنا لهذا الايصال ؟

– انه ليس للبيع .

– هل تحتفظ به ؟

– سيعاد اليك ، ببعض الشروط .

– وما هي ؟

– سأذكرها لك أمام المفتش بيشو .

– واذا رفضت .

– سأبلغ عنك عندئذ .

– ان ادعاءاتك لا تستند الى أساس .

– حاول .

ولاريب ان جورج كازيفون أحس بقوة وصلابة إرادة غريمه لأنه أطرق ، وفي نفس اللحظة أدخل أحد الخدم بيشو .

ولم يكن المفتش يتوقع رؤية بارنيت في القصر ، فعبس .. فيم كان هذان الرجلان يتحدثان بحق الشيطان ؟ هل جرؤ هذا البغيض بارنيت على أن يناقض اثباتاته هو مسبقاً .

جعله هذا القلق اكثر تأكيدا في شهادته ، فقد شد على يد جورج كازيفون في مودة كبيرة وقال :

– انني وعدتك يا سيدي أن أقدم اليك ، قبل رحيلي ، نتيجة أبحاثي ، وصورة للتقرير الذي سأقدمه ، وهي أبحاث مطابقة تماماً للطريقة التي فسرت بها القضية هنا .

وأردف يقول ، مستخدماً تقريباً ، نفس العبارة التي سبق ان نطق بارنيت

بها .

- ان الشائعات لتى تطلقها الآنسة دالسكار عنك لا تستحق أى اهتمام .

وأسرع بارنيت يقول موافقا :

- حسن جدا .. وهذا نفس ما ذكرته انا للسيد كازيفون .. مرة أخرى ، يقدم استاذى وصديقى بيشو الدليل على ذكائه العادى .. ويجب أن أقول ، من ناحية أخرى ، ان السيد كازيفون كان من سعة الأفق بحيث يرد على الاتهامات التى تعرض لها بكل كرم وسخاء ، فهو يرد الى الآنسة دالسكار أملاك أجدادها .

بدا كأن بيشو تلقى ضربة مطرقة على أم رأسه وقال :

- إيه .. هل هذا ممكن ؟

أجاب بارنيت فى توكيد :

- ممكن تماماً .. لقد تسببت هذه المغامرة فى استياء السيد كازيفون من هذا القصر ، وهو يفكر فى الانتقال الى قصر قريب .. من مصانعه فى جيريه .. بل انه كان ، عند قدومى ، على وشك أن يحرر صيغة هبة ، وأبدى رغبته فى أن يضيف شيكا بمائة ألف فرنك لحامله ، يكون بصفة تعويض للآنسة دالسكار .. اننا مازلنا متفقين على ذلك يا مسيو كازيفون أليس كذلك ؟

لم يتردد هذا الأخير دقيقة واحدة ، فامتثل لأوامر بارنيت بسرعة ، كما لو أنه هو الذى قدم هذا العرض ، وجلس أمام مكتبه ، وحرر المستند ، ووقع على الشيك ، وقال :

- ها هى أيها السيد .. سأصدر تعليماتى لموثق عقودى .

أخذ بارنيت المستندين ومظروفاً وضعهما فيه وقال لبيشو :

- امض بهذا الى الآنسة دالسكار ، وانا واثق أنها سوف تقدر تصرف مسيو كازيفون .. انني أحييك ياسيدى ، ولا أعرف كيف أعبر لك عن سرورى انا وبيشو بهذه النتيجة التى ترضى الجميع .

وخرج فى نشاط يتبعه بيشو وقد ازداد ذهوله وتمتم فى الحديقة :

- ولكن .. أهو الذى أطلق الرصاصة .. هل اعترف بجريمته ؟ أجابه بارنيت :

لا تشغل نفسك بذلك يا بيشو .. ودع هذا القضية .. لقد تم تسويتها ولمصلحة الجميع كما ترى .. قم بمهمتك قبل الآنسة دالسكار اذن ، وسلها الصمت والنسيان . وانضم الى بعد ذلك فى الحانة .

* * *

عاد بيشو بعد ربع ساعة . قبلت الآنسة دالسكار الهبة وكلفت موثق عقودها بالاتصال بموثق عقود جورج كازيفون .. ولكنها رفضت أية نقود ومزقت الشيك وهى ساخطة .

وانطلق بارنيت وبيشو فى رحلة سريعة وصامتة .. وراح المفتش يرهق نفسه بتخمينات غير مجدية ، فهو لم يفهم شيئاً .. ولم يبد الصديق بارنيت اى استعداد للايضاح .

وبلغا باريس بعد دقات الساعة الثالثة .. ودعا بارنيت بيشو لتناول الغداء معه فى مطعم بجوار البورصة .. وقبل بيشو الدعوة وهو لا يزال فى جموده وعجزه عن التغلب على ذهنه .

وقال بارنيت :

اطلب ما تريد .. لدى عمل صغير سأعود منه سريعا .

ولم يطل الانتظار .. وتناولا غداء شهياً .. وقال بيشو وهو يحتسى القهوة يجب أن أعيد لمسيو كازيفون قطع الشيك الممزق .

– لا داعى لهذه المشقة يا بيشو .

– لماذا ؟

– لم يكن للشيك أية قيمة .

– وكيف هذا ؟

– نعم .. فقد توقعت رفض الآنسة دالسكار ودسست فى المظروف مع مستند الهبة شيكا قديماً لاغياً .

تأوه بيشو :

– والشيك الصحيح ؟.. ذلك الذى وقعه مسيو كازيفون ؟

– اننى صرفت قيمته من البنك منذ قليل .

وفتح جيم بارنيت سترته .. وكان فى احد جيوبها الداخلية رزمة من الأوراق المالية .

ووقع فنجان القهوة من بين يدى بيشو .

ومضت بعض الوقت ، وكل منهما ينظر الى الآخر .. وأخيراً قال بارنيت :

– الواقع ان تعاوننا كان مثمراً حتي الآن يا بيشو .. فقد تمت بأعمال كثيرة معا ، وأصبنا نجاحاً تضاعفت فيه مدخراتى الصغيرة ، وأقسم لك اننى بدأت أشعر بالقلق من أجلك ، لأننا نعمل معاً ، وانا الذى أقبض دائما ولكن ما قولك الآن فى أن نشترك معا .. مكتب بارنيت وبيشو ؟ .. ما رأيك ؟

ألا يبدو هذا جميلاً ؟

رماه بيشو بنظرة تقطر حقداً .. لم يشعر أبداً بمثل هذه الكراهية نحو أى رجل .

ونهض ، وألقى ورقة مالية فوق المائدة لكى يدفع الحساب ، ثم تمتم وهو ينصرف :

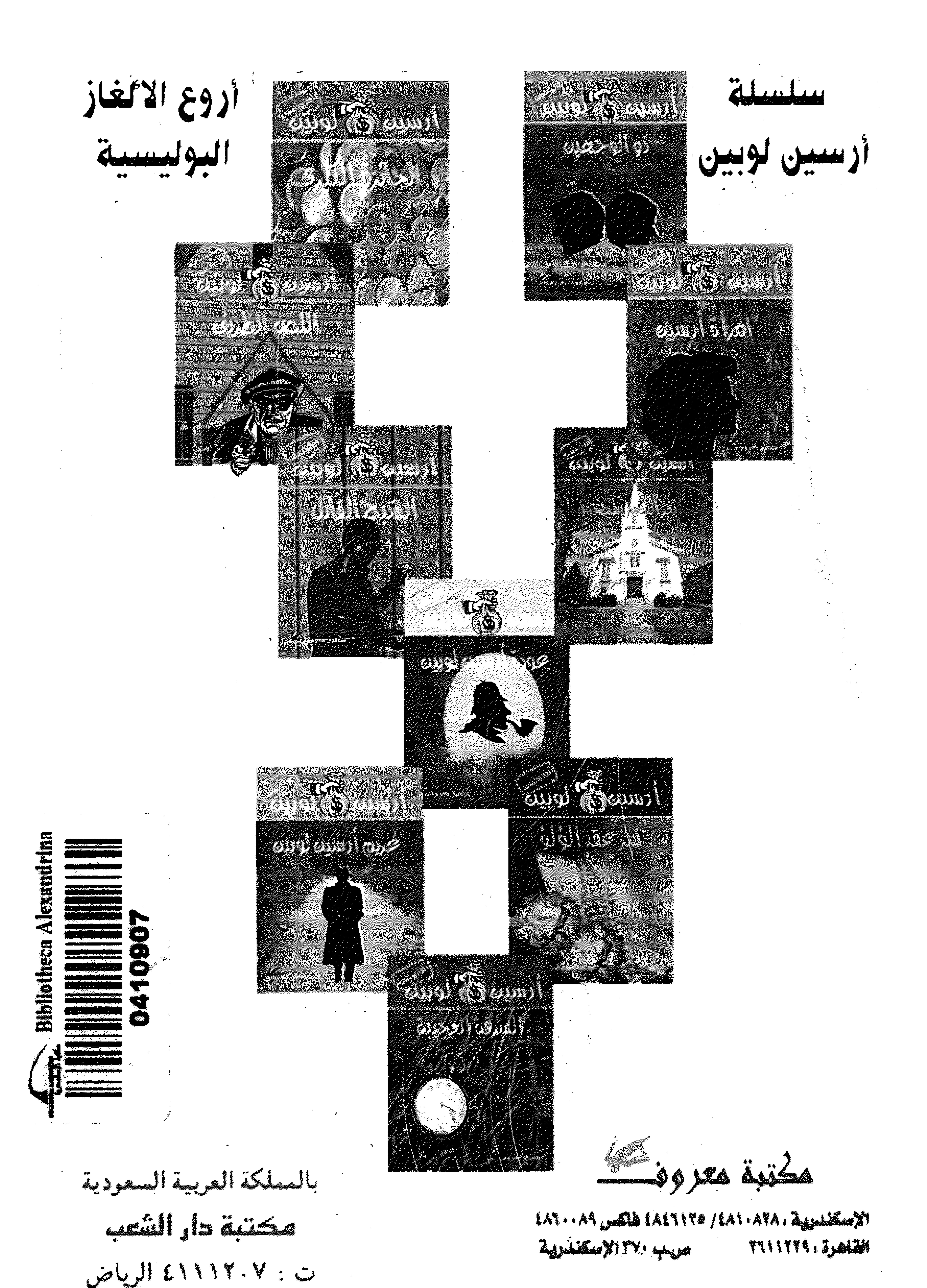
- هناك لحظات أتساءل فيها ان لم يكن هذا الرجل هو الشيطان بعينه .

وقال بانيت وهو يضحك :

- وإنني ألقى على نفسى هذا السؤال أحيانا .

***

(تمــت)



سلسلة أرسين لوبين

أروع الألغاز البوليسية

مكتبة معروف
الإسكندرية، ٤٨١٠٨٢٨/ ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة، ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية

بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض